جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة الفلسفة

ميدان : العلوم الاجتماعية

فرع : الفلسفة

تخصص : فلسفة عامة

إعداد الطالبتين : بن غباش فريدة – بن غدير سمية

الموضوع :

مشكلة الحرية في فلسفة فولتير

مذكرة تخرج لنيل شهادة ما ستر أكاديمي

نوقشت وأجيزت علنا يوم: 2019/06/25

بحضور اللجنة المكونة من : .....

لعموري شهيدة ..... أستاذة محاضرة ب جامعة قاصدي مرباح ورقلة	رئيسا
برابح عمر ..... أستاذ مساعد أ جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مشرفا
كراش ابراهيم ..... أستاذ محاضر ب جامعة قاصدي مرباح ورقلة	مناقشا

الموسم الجامعي :2019/2018

إهداء

الى القلب الكبير، أخص هذا الإهداء والدي أطال الله بقائه و ألبسه ثوب

الصحة و العافية، أهدي له ثمرة غرسه .إلى من نذرت عمرها في أداء

رسالة صنعتها من أوراق الصبر، أمي الغالية أمد الله في عمرها والصالحات .

إلى أخواتي خاصة أخر العنقود صبرين و إخوتي و أبنائهم خاصة وائل حفظه الله.

إلى من سيكون أهلي و ملاذي شريكا لحياتي محمد.

إلى روح أستاذنا الطاهرة زقعيط محمد الصغير رحمه الله إلى كل أساتذة الفلسفة الأفاضل .

إلى زميلاتي و زملائي في الدراسة إلى من شاركتني هذا العمل زميلتي فريدة بن غباش .

إلى كل من دعمني وشجعني في حياتي وأعطاني دفعة نحو الأمام.

بن غدير سمية

إهداء

أهدي عملي هذا إلى من كانا سندا و عونا لي في حياتي والداي الكريمين

حفظهما الله و أطال في عمرهما .

إلى إخوتي و أخواتي الأعزاء خاصة أخي علي حفظهم الله جميعا.

إلى كل الأصدقاء و الأقارب.

إلى كل من أمدنا بتشجيعه و نصحه في سبيل إتمام هذا العمل المتواضع .

إلى كل من علمني و لو حرفا واحدا. إلى كل طالب علم.

بن خباش فريدة

شكر وعرفان

الشكر و الحمد لله الذي خلق الليل والنهار فقلب ليل

الظلمات إلى نهار طاعات

إلى نجم الهدى في الأرض سيد الأولين و الآخرين محمد

صلى الله عليه وسلم و على آله و صحبه أجمعين

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف عمر برايح الذي

ساعدنا في إنجاز هذا البحث ولم يمنعه أداء واجباته و منصبه

من إبداء إرشاداته و إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث .

مقـــدمـــة

تعد الحرية حقًّا من الحقوق الطبيعة للإنسان، فلا قيمة لحياته بدون حرية فحين يفقد المرء حريته يهتز كيانه ويعني هذا موته داخليا، حيث تعتبر الحرية من أقدم المشكلات الفلسفية طرحها الفلاسفة قديما، كما طرحها الفلاسفة في الفترة الحديثة وعصر الأنوار قرن 18م الذي امتاز بدفاعه عن كافة الحريات السياسة والاقتصادية، مجدها نخبة من الفلاسفة التنويريين من بينهم فرانسوا ماريه أرويه Francois Marie Arouet المعروف باسم فولتير Voltaire (1694م-1778م) الذي دعى إلى تكريس الحرية، ونبذ كل أشكال الظلم و الاستبداد الذي مارسته الكنيسة ورجال الدين المتعصبين فتصدّى لهم من خلال نقده اللاذع في مؤلفاته الأدبية والفلسفية مناديا بمبدأ تحقيق المساواة والحرية و نبذه كل الشرور المسلطة على الإنسان.

ومن أسباب اختيارنا للموضوع الميل للمواضيع ذات الأبعاد الإنسانية خاصة السياسية تبيين وتوضيح أبعاد فولتير و مساهمته في الفكر السياسي لأنه أحد أعمدة الأدب وفلسفة التنوير الغربي و بالتالي التعرف عليه، و كذا التعمق في الفكر الغربي و تبيين وجهات نظرهم السياسية.

وعليه تكون إشكالية الدراسة كالآتي : بأي معنى يمكن الحديث عن الحرية كإشكالية عند فولتير؟

ترتّب عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية هي: ما مفهوم الحرية ؟ كيف عالج فلاسفة الحداثةو التنوير مشكلة الحرية ؟

ما هي أشكال الحرية ؟ وهل دافع فولتير عن شكل معين من أشكالها ؟

ولمعالجة هذه الإشكالية و تساؤلاتها الفرعية اعتمدنا على خطة العمل التالية: قمنا بتقسيم البحث إلى فصلين رئيسين هما كالأتي، بدأنا بمقدمة تضمنت تمهيدا للموضوع ثم الفصل الأول المعنون تحت: المرجعية الفكرية والفلسفية لفولتير الذي تعرضنا فيه للأوضاع السائدة في فرنسا القرن 18م، والتي بدورها ساهمت في تشكيل فكره، بما أن فولتير و روسو من بيئة واحدة و في العصر ذاته تطرقنا إلى العلاقة بينهما، وبعد هذا بحثنا عن مشكلة الحرية في الفلسفة الغربية الحديثة (جون لوك، وليبنتز نموذجين)، أما الفصل الثاني فكان عنوانه في ماهية الحرية عند فولتير تناولنا فيه مفهوم الحرية لغة و اصطلاحا، وبعدها انتقلنا إلى مفهوم الحرية عند فولتير و هذا صميم بحثنا، ثم بحثنا عن أنواع الحرية عند فولتير، وختمنا بحثنا قيد الدراسة بعرض ما توصلنا إليه من نتائج .

المناهج التي اتبعناها في دراستنا للموضوع هي :

المنهج التاريخي : وذلك من خلال تتبعنا لمشكلة الحرية في الفلسفة الغربية الحديثة وصولا إلى عصر الأنوار.

المنهج التحليلي : وذلك بتحليل نصوص فولتير حول مشكلة الحرية .

و الأهداف التي نسعى إليها من خلال هذه الدراسة هي:

*محاولة إبراز وجهة نظر الفلاسفة الغربيين في العصر الحديث عن مشكلة الحرية .

*محاولة إظهار مكانة الفيلسوف فولتير في عصر الأنوار من خلال تبنيه لمشكلة الحرية .

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء هذه الدراسة منها :

* صعوبة فهم نصوص فولتير و ذلك بسبب طغيان الإنتاج الأدبي عند فولتير على الإنتاج الفلسفي مما يطرح إشكالية في القراءة و الاستنتاج.

الفصل الأول

المرجعية الفكرية والفلسفية لفولتير

المبحث الأول : الأوضاع السائدة في فرنسا القرن 18م

المبحث الثاني : علاقة فولتير بروسو

المبحث الثالث : مشكلة الحرية في الفلسفة الغربية الحديثة (جون لوك و ليبنتز نموذجين)

الفصل الأول : المرجعية الفكرية والفلسفية لفولتير.

يعتبر القرن الثامن عشر مرحلة حاسمة في تاريخ أوروبا، ففيه نشأ التنوير حيث تجسدت فيه النقلة النوعية لأوروبا و ساد فيه فكر ثقافي فلسفي جديد و متجدد رافض للقديم و لسلطة اللاهوت، بدأ في انجلترا ثم فرنسا و ألمانيا إلى أن انتشر في باقي أوروبا، يهدف إلى تحرير الإنسان من كل جوانبه فكريا و سياسيا و عقائديا...الخ.

المبحث الأول: الأوضاع السائدة في فرنسا القرن الثامن عشر.

بدأ التنوير الفرنسي مع نخبة من الفلاسفة و العلماء أمثال فولتير[*] Voltaire (1694-1778) وروسو[**] Jean Jacques Rousseau (1712-1778)، الذين عملوا على إشاعة روح الأنوار، حيث دافعوا على حقوق الإنسان و حرياته، و رفضوا الأصولية المسيحية والاستبداد السياسي، فمن خلال كتاباتهم التي وجدت أصداء كبيرة عند المواطنين الفرنسيين فبثت فيهم نوعا من الوعي بأوضاعهم التي يجب أن تتغير إلى الأفضل، من أجل أن ينعم الإنسان الفرنسي خاصة و الأوروبي عامة بحياة الأمن و الكرامة.

---

[*]) **فولتير**: اسمه الحقيقي فرانسوا ماري أرويه، أديب و فيلسوف فرنسي من عائلة برجوازية، درس في معهد لوي لوغران، تعرض للسجن و للنفي سنة 1717 له عدة مؤلفات أدبية و فلسفية أهمها "رسائل فلسفية " و "القاموس الفلسفي " [جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، (دار الطليعة، ، بيروت، ط3، 2006)، ص 471 – 472].

[**]) **روسو**: أديب وفيلسوف فرنسي صاحب نظرية العقد الاجتماعي التي تعد من أهم مؤلفاته إضافة إلى كتابه إميل .[رحيم أبو رغيف الموسوي، **الدليل الفلسفي الشامل**، ج2، (دار المحجة البيضاء، بيروت (لبنان)، ط1، 2003)، ص22].

يعرف التنوير بأنه اتجاه ثقافي ساد أوروبا الغربية في القرن الثامن عشر بتأثير طبقة المثقفين المعروفين باسم المتفلسفين و كان التنوير نتاج عصر العقل وأفكاره تقوم على ثلاثة وحدات أساسية هي العقل والطبيعة و التقدم و تكوّن في مجموعها الأخلاق و الفلسفة الطبيعيين وأساسهما العلم، باعتباره طريق العقل ليس في بلوغ الحقيقة و لكن في تنظيم الحياة وتكون الأرض مدينة الله بعد أن يئس الإنسان من بلوغ مدينة الله في السماء، شعار التنوير "العلم للجميع والقراءة للجميع"[1]. يرتبط التنوير بالقرن الثامن عشر، الذي عرف اتجاه ثقافي جديد واضح المعالم من خلال كتابات الفلاسفة التنويريين أمثال فولتير و روسو الذين خاضوا معاركهم الفكرية من أجل تنوير البشرية و تحريرها من القيود و الجمود الذي سيطر عليها في العصر الوسيط، حيث يرتكز على ثلاثة وحدات أساسية هي العقل و التقدم و الطبيعة. الإيمان بالعقل و قدرته في البحث و الكشف عن الحقائق التي يتوصل إليها الإنسان، أما التقدم فهو يعبر عن تحرير الإنسان من الخوف، و جعله سيدا، فتفوق الإنسان لا يكمن إلا في العلم، لا شك في ذلك إطلاقا.

أما **كانط**[*] Kant Emmanuel (1674-1804) فهو يُعرّف التنوير في مقالة كاملة عنوانها "ما الأنوار؟" بقوله:" أن بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه، والذي يعني عجزه عن استعمال عقله. و إن المرء نفسه مسؤول عن حالة القصور هذه عندما يكون السبب في ذلك ليس نقصا في العقل، بل نقصا في الحزم و الشجاعة في استعماله دون إرشاد

[1] عبد المنعم الحفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة** (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2000)، ص224.

[*] **إيمانويل كانط:** فيلسوف ألماني نشأ في جو مسيحي مشبع بروح النزعة التقوية والتي آثرت على تفكيره الديني ،من أهم مؤلفاته نقعد العقل المحض ، و نقد العقل العملي ، ونقد ملكة الحكم، [جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 313].

الغير. مبدأه تجرأ على أن تعرف، كن جريئا في استعمال عقلك أنت"[1]، فالتنوير عند كانط يقوم على الحرية في استعمال العقل، و استخدامه علنية و في كل الأمور و المجالات و من دون توجيه من الآخرين أو من أي قوة خارجية وتخليص الإنسان من حالة القصور الذي و ضع نفسه فيه.

عرفت أوروبا في الفترة الحديثة زيادة ونمو في عدد السكان، فصارت المدن أكبر والحكومات أقوى ...و ابتكار و سائل جديدة للنقل و المواصلات و تحقيق التواصل. و بالرغم من ذلك كانت مشكلة الفقر لتزال قائمة من غير أن يكشف لها حل. ذلك بسبب اهتمام رجال السياسة بالتوسع والاستعمار و تشييد الإمبراطوريات. فهذه المتغيرات التي طرأت على أوروبا حولت مجتمع كان ملاك الأراضي و أصحاب الطواحين أبرز أفراده، إلى مجتمع تتوقف سعادته على إلى حد كبير على الطبقة المثقفة كالمهندس و المعلم و الطبيب...الخ[2].

فأهمّ سمة لعصر التنوير هي التحرر الديني و الخروج عن سيطرة الكنيسة و اللاهوت بذلك يعني التنوير توليد مفهوم آخر للدّين، توليد إيمان جديد ينهض على أنقاض الإيمان القديم هنا تكمن روح عصر التنوير و جوهره وهذا الإيمان الجديد يرتكز على أساس العقل، العقل الفلسفي ولا شيء غيره الذي يعمم منهجية الفيزياء في كل مجالات المعرفة، الذي بدأ مع فلاسفة

---

[1] إمانويل كانط، **ثلاثة نصوص تأملات في التربية**، ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟ تر:محمود بن جماعة (دار محمد علي للنشر،ط1، 2005) ص85.

[2] هربرت فشر، **تاريخ أوروبا في العصر الحديث**، تر: أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع،(دار المعارف، مصر، ط6،(د.س))، ص2- 3.

الطبيعة الذين أعطوا للعقل ثقته في الكشف عن المنهجية التجريبية و الرياضية لقوانين الكون سمائه وأرضه، ومنذ تلك اللحظة أخذت البشرية الأوروبية تتفوق على نظيراتها من الشعوب الأخرى [1].

عملت الموسوعة الفلسفية" **Encyclopédie Philosophique**" التي أعدها مجموعة من الفلاسفة و العلماء الفرنسيين على بلورة فكر عصر التنوير، فقد أدار هؤلاء الرجال ظهورهم بوعي تام لتعاليم رجال الدين و الفلاسفة الميتافيزقيين، و رأوا في العلم القوة الدافعة الجديدة في الميدان العقلي، و هكذا أجمعوا في عمل ضخم يضم كل المعرفة العلمية المتاحة في عصرهم لا بوصفها سجلا مرتبا ترتيبا فحسب بل من حيث هي وصف للطريقة العلمية في التعامل مع العالم وكانوا يأملون أن ينتجوا بهذا العمل أداة فعالة في الصراع ضد جهالة السلطة القائمة.

إن الموسوعة هي في نواح معينة رمز لعصر التنوير القرن الثامن عشر فيها ينصب الاهتمام على المناقشة العقلية التي تهدف إلى تحقيق أكثر سعادة للبشر[2]. حيث أشرف عليها دنيس **ديدرو*** Denis Diderot (1713-1784) وكان له دور فعّال في تحريك هذا المشروع بفضل

---

[1] هاشم صالح، **المدخل إلى التنوير الأوروبي**، (رابطة العقلانيين الغرب و دار الطليعة، بيروت (لبنان)، ط1، 2005)، ص146.

[2] برتراند راسل، **حكمة الغرب**، ج2، تر: فؤاد وكريا، (المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، (د.ط)، 1978)، ص111 – 115.

[*] **دنيس ديدرو**: ولد في باريس، درس في معهد اليسوعيين، حيث تخرج سنة 1732أستاذ للفنون، جمعته صداقة بروسو، أشرف على الموسوعة سنة 1748، ألف كتاب الخواطر الذي أذين من قبل محكمة باريس، وبين عامي 1769–1773 تميز بنشاطه الأدبي من مؤلفاته: حلم دالمبير، حديث أب مع أولاده، خواطر في تأويل الطبيعة.[جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص295 – 296].

مقالاته. حيث صدرت الطبعة الأولى للموسوعة التي نشرت بين 1751م و1772م التي تتألف من سبعة عشر مجلدا، و ظهرت سبعة مجلدات إضافية سنة 1776م و1780م كان عنوانها الفرعي "قاموس مدروس للعلوم و الآداب و الفنون" حيث قال ديدرو عن الموسوعة: "يجب أن تكون جمع كل المعرفة التي توجد الآن مبعثرة على سطح الأرض و الإعلان عن بنائها العام للناس الذين نعيش بينهم و نقلها إلى أولئك الذين سيأتون بعدنا "[1]. كما ساهم **دالمبير**[*] Jean d`Alembert (1717_1783) في إنشاء الموسوعة، حيث يرى من خلال الخطاب الافتتاحي للموسوعة، أن عصر النهضة كان هو العصر التنويري الأول الذي مهد للقرن 18م، ويعود له الفضل في ذلك فشعلة التنوير ظلت متقدة على الرغم من محاولة المتزمتون الغلاة لإطفائها.

أما في الجانب الاقتصادي كانت فرنسا تعرف ازدهارا من الناحية المادية، لامتلاكها موارد زراعية و صناعية هائلة، و تجارة خارجية مربحة، لكن مع ذلك كانت تواجه مشكلات داخلية التي تؤدي إلى سوء حالها المالية و إفلاسها. و من تلك المشكلات التي واجهتها و التي تتمثل في أن موارد طعام الشعب لم تكن ميسورة و مضمونة فعلى الرغم من أن فرنسا كانت تمثل قطرا حضريا إلا إنها كانت لا تزال متمسكة بالنظام القديم في الزراعة و توفير الأغذية، فكان ما يهما توفير

[1] ديدرو، نقلا عن غيرترود هيملفارب، **الطرق إلى الحداثة**، تر: محمود سيد أحمد، (المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت،(د. ط) 2009) ص 159.

[*] **جان لورون دالمبير**: عالم رياضي وكاتب فرنسي، من ممثلي الفكر الفلسفي في عصر الأنوار، درس في معهد مازران، ساهم في إنشاء الموسوعة، +كتاب الديناميكا.[جورج طرابيشي،معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 279– 280].

الخبز الذي لم تكن تضمن الحصول عليه دائما، فكانت بعض طبقات المجتمع عرضة للفقر والمجاعات، بل و حتى العوز في المدن الكبرى.[1]

فتلك المؤهلات التي انعكست على نموّ تطوّر أسلوب الإنتاج الجديد أي الأسلوب الرأسمالي في نظام المجتمع الإقطاعي* و ضمن الإطار السياسي و تعزز طغيان الملكية المطلقة، مما ساهم في تطوير القوى المنتجة وزاد من حدة التناقضات بين العلاقات البرجوازية* الصاعدة و بين العلاقات الاجتماعية الإقطاعية التّي تقف عائقا في النّظام الاجتماعي الناشئ وهذا التناقض الذي انعكس على الحياة الفكرية فتطورت العلوم و الرياضيات و ارتبط بنجاحات هذه العلوم، ومع الأفكار العلمية الجديدة في مختلف المجالات قوبل ذلك بردّة فعل رجال الكنيسة و كان ذلك التّناقض القائم بين مقتضيات تطور البلاد الاقتصادية و العلاقة الإقطاعية السائدة ينعكس في جميع ميادين الحياة الاقتصادية الفرنسية و قد برزت حاجة ماسة إلى تغييرات جذرية

---

[1]) هربرت فشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث، مرجع سابق، ص5– 7.

*) **نظام المجتمع الإقطاعي:** ساد الإقطاع في العصور الوسطى في كل جوانب الحياة الاقتصادية و السياسية و الفكرية، حيث ظهر كنتيجة لتدهور السلطة المركزية و انحلالها، حيث أخذ زعماء الأقاليم يستفردون بمناطقهم و يقومون دويلات صغيرة مستقلة عن السلطة المركزية، ظهر في فرنسا ثم ألمانيا ثم باقي الدول الأخرى، بلغ مرحلة النضج في القرون الحادي عشر و الثاني عشر.[جفري براون، **تاريخ أوروبا الحديث**، تر: علي المرزوقي، (دار الأهلية، الأردن،ط1، 2006)، ص123].

*) **البرجوازية:**(Bourgeoisie) مصطلح فرنسي، يعني الطبقة المتوسطة التي نشأت في عصر النهضة الأوربية بين الأشراف و الزراع، و أصبحت دعامة النظام النيابي، ثم صارت في القرن التاسع عشر الطبقة التي تملك و سائل الإنتاج في النظام الرأسمالي و قابلت بهذا طبقة العمال.[مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**،(دار القباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007)، ص 138].

سواء في دائرة التجارة أو الصناعة أو الزراعة ...الخ، فكانت الحياة تطرح على الفكر الاجتماعي في فرنسا مشكلات اقتصادية كبرى تستدعي إيجاد حلول لها[1].

حيث قامت حركة التنوير الفرنسي لنقد ركائز الإيديولوجية الإقطاعية و تفنيد الأوهام والمعتقدات الدينية والعمل من أجل إشاعة روح التسامح الديني و حرية الفكر و البحث العلمي الفلسفي و إعلاء شأن العقل و العلم، فبفضل التنويريين المفكرين الذين دفعتهم الرغبة في إشاعة الثقافة و تحرير العقل، التنوير الفرنسي كان في جملته حركة الفكر الاجتماعي البرجوازي الصاعد الذي تأثر بالتنوير الإنجليزي[2].

عرفت فرنسا في القرن الثامن عشر و القرون السابقة عنه من الناحية السياسية سيادة الحكم الملكي المطلق، الذي يقوم على لا محدودية السلطة الملكية المفروض فيها أنها مستمدة مباشرة من الله، فالملك في الأرض يمثل صورة حية لله و يوازيه في السلطة، أما الرعية فعليهم الطاعة والخضوع لهذه الإرادة، ومصالح الفرد خاضعة خضوعاً مطلقاً لدواعي المصلحة العليا التي تشكّل المبدأ الأسمى والأعلى، فكانت السّلطة الملكية غير محدودة ومُستبدّة في جوهرها، نجد مثلا لذلك الملك لويس الخامس عشر Louix XV* (1710-1774) الذي يرى أنه في شخصه

---

[1] جماعة من الأساتذة السوفيات، **موجز تاريخ الفلسفة**، تر: توفيق سلوم، (دار الفارابي، بيروت، (لبنان)، ط1، 1989)، ص193.

[2] ف..فولغين، **فلسفة الأنوار**، تر:هنرييت عبودي، (دار الطليعة، بيروت (لبنان) ط1، 2006)، ص194.

* **لويس الخامس عشر Louis xv**: أحد أعظم ملوك فرنسا، تولى العرش حيث حكم فرنسا و منطقة ناقارا سنة 1715م، حتى وفاته تمتع بصمعة طيبة في فترة حكمه و كان يلقب بالملك المحبوب.[فولتير، **رسالة في التسامح**، تر: هنريت عبودي، (دار بترا للنشر و التوزيع، سوريا، ط1، 2009) ص188].

فقط تكمن السلطة العليا وعنه ينبثق النظام، ومن شخصه تستمد المجالس وجودها و إليه تعود السلطة التشريعية. و ذلك في إعلانه أمام برلمان باريس سنة 1766م.

فكان ذلك النظام الاستبدادي الذي يدعمه الدين و الكنيسة قائما طيلة قرون من الزمن، إلى أن بدأت كتابات الفلاسفة و السياسيين تبدي استنكارها لذلك النّظام، والنقد لسياسة الحكم الضرائبية، والاستغلال الإقطاعي و حالة البؤس الذي يعيشها المواطن الفرنسي، ومن ذلك طرحوا أفكارا بديلة كخضوع الملكية للقوانين، وفكرة الحد من السلطة الملكية والدفاع عن حقوق الفرد مركزين على مذهب سيادة الشعب والأصل التعاقدي للسلطة، حيث مهّدت تلك الكتابات الطريق أمام الأفكار السياسية الجديدة البرجوازية حيث شهد القرن الثامن عشر و خاصة في نصفه الأخير النقد و الهجوم للركائز الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية للنظام الإقطاعي و الحكم الملكي.[1]

[1] ف.فولغين، فلسفة الأنوار، مرجع سابق، ص17 – 18.

المبحث الثاني:علاقة فولتير بروسو.

إن فولتير و روسو من أهم الفلاسفة الفرنسيين الذين برزوا في القرن الثامن عشر، حيث طرح كل منهما أفكاره الإصلاحية لمحاولة تغيير الأوضاع السائدة المتدهورة و في عدة مجالات مختلفة كالاقتصاد والسياسة و الدين من أجل أن ينعم الإنسان الفرنسي خاصة و الأوروبي عامة بحياة كريمة يسودها الأمن و المساواة و الاستقرار. لقد بدى أن روح فرنسا المعقدة قد قسمت نفسها بين هذين الرجلين الفرنسيين على الرغم من أوجه الاختلاف بينها، حيث نرى مرة ثانية الصراع القديم بين العقل والغريزة، فقد آمن فولتير بالعقل دائما و بقدرته على تثقيف الناس وإصلاحهم بالعقل والخطاب. على عكس ذلك نجد روسو بأنه لم يؤمن بالعقل إلا قليل، بقدر ما كان يؤمن بقدرة الغريزة والعاطفة، حيث إعتمد على مشاعر الأخوة لإعادة توحيد العناصر الاجتماعية التي بعثرتها الإضطرابات و استئصال العادات القديمة[1].

نجد فولتير قد صبّ انشغاله و اهتمامه في الكفاح ضد طغيان الكهنة و رجال الدين لدرجة أجبرته في السنوات الأخيرة من حياته على الانسحاب مع الحرب ضد الظلم و الفساد السياسي حيث يعترف بأن السياسة لم تعد من اهتماماته و انشغالاته، بل كان دائما مهتما بالجانب الإنساني من أجل أن يجعل الناس أقل سخافة و أكثر شرفا. و يرى بأن الجوع هو الذي يدفع الإنسان إلى تغيير الأوضاع السياسية و من ذلك يدعو إلى ضرورة زيادة عدد المالكين، لأن هذه

[1] ويل ديورانت، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى ديوي**، تر: فتح الله محمد المشعشع، (مكتبة المعارف، بيروت(بيروت) ط1 مجددة، 2014)، ص 192.

الأخيرة تكسب الإنسان شخصيته و ترفع من كرامته و هي سبب قوته و تحقيق مطالبه وإحتياجاته، من ذلك ضمان لبقائه.[1]

أما روسو فهو يرفض الملكية و يعتبرها سبب انحطاط الجنس البشري و تدهوره و هي سبب الحروب و النزاعات و الجرائم و هي أهم عامل لظهور المجتمع المدني المتحضر، ولكن من جهة أخرى حدد روسو ثلاثة شروط للملكية في الحالة الطبيعية " أولا أن لا تكون معمورة بأحد، ثانيا ألا يستولي الإنسان منها على غير المقدار الضروري لعيشه، ثالثا ألا تحاز بمظهر فارغ، بل بالعمل و الحرث "[2]. أي بهذا الدليل الوحيد للتملك الذي يجب لأن يحترمه الآخرون عند عدم وجود مستندات قانونية، فالملكية تكون من حيازة الفرد عندما لا تكون ملك لأحد غيره فالملكية لا تقوم على سلب أملاك الأخرين و نهبها، و عندما يتملك الإنسان يملك بقدر الحاجة ما يكفي لعيشه. و كذلك من شرط الملكية و حيازة الأرض لأجل العمل فيها و تحقيق المنفعة من حيازتها،فهو بدوره يرفض المدينة و التقدم[3].

في سنة 1749م نشرت أكاديمية ديجون Dijon إعلان مسابقة في موضوع: " هل أدى تقدم العلوم و الفنون إلى إفساد الأخلاق أو إصلاحها و هل حققت نفعا للبشرية؟ و من هنا أعمل روسو ذهنه و جمع قواه، و كتب في الموضوع فكانت إجابته بالسلب، فأقام الدليل على أن العلوم و الفنون أفسدت الأخلاق، و أوجبت شقاء الإنسان و أكد على أنها مصدر للرق و التفاوت بين

[1]) ويل ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى ديوي، مرجع سابق، ص189 .

[2] جون جاك روسو، **العقد الاجتماعي**، تر: عادل زعيتر، (مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، (د.ط)، 2012)، ص44.

[3]) ف فولغين، فلسفة الأنوار، مرجع سابق، ص 216.

الجنس البشري مما ينتج عنه سوء الأخلاق، و مما ذهب إليه في تلك الرسالة كون الثقافة أقرب إلى الشر أقرب منها إلى الخير و كون التفكير مناقض لطبيعة الإنسان. و في سنة 1750م نال جائزة ديجون، و بنجاحه هذا حقق شهرة كبيرة فعمل على تعميق تلك الأفكار، و بلورها في بحث ثاني عنوانه " أصل التفاوت بين الناس" سنة 1754م فكان مضمونه العام أن الإنسان خير بالطبيعة وأن المنظمات وحدها هي التي تجعله سيئا[1]، و كغيره من الفلاسفة السياسيين تحدث عن الحالة الطبيعية للإنسان، إن كان ذلك يميل إلى الافتراض أكثر منه إلى الحقيقة، فربما لم توجد تلك الحالة حتى نحكم على حالتنا الراهنة، و بالتالي فالقانون الطبيعي يجب أن يصدر عن صوت الطبيعة و مع ذلك فروسو لم يعترض على انعدام المساواة الناجم عن الامتيازات التي يخولها العرف[2].

يرى روسو أن أصل المجتمع المدني هو الملكية، حيث سعى الإنسان الأول إلى التملك يقول روسو: " عندما سوّر إنسان قطعة أرض و قال هي لي، و قد وجد من البسطاء من يصدقونه... احذروا سماع هذا الدجال، فالهلاك يكتب لكم إذا نسيتم أن الثمرات للجميع، و أن الأرض ليست ملكا للأحد "[3]. فتعتبر الملكية و خاصة في نوعها الذي يتمثل في حيازة الأرض

---

[1] جون جاك روسو، العقد الإجتماعي، مرجع سابق، ص 13.

[2] برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة**، تر:محمد فتحي الشنيطي ،(الدار المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، (د.ط)،1988)، ص 292 .

[3] جان جاك روسو، **أصل التفاوت بين الناس**، تر : عادل زعيتر ، (مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة،القاهرة، (د.ط)، 2012)، ص 57.

هي المؤسس الحقيقي للمجتمع المدني و أصله وضروب انعدام المساواة ناتج عن الملكية الخاصة حيث يرفض روسو التملك و يرى بأنه شر، و أنه سبب الحروب و الجرائم و البؤس حيث يؤكد على أن الأرض لجميع الناس يشتركون فيها و ليست حكرا على نوع من البشر، كما أن الثمرات والخيرات التي تنتجها الأرض ينتفع بها جميع الناس كذلك، فالإنسان خير بطبيعته، والإنسان البدائي في المرحلة الطبيعية حين يأكل يعيش في سلام مع الطبيعة كلها و يكون صديق لجميع أقرانه من المخلوقات، و بذلك يرفض روسو المدينة و الحضارة و التطور و الزراعة و الصناعة.

وقد أرسل روسو مقالة عن" أصل التفاوت بين الناس" لفولتير سنة 1755م، الذي كان يعيش منعزلا في مدينة جنيف حيث كان يوسع أفكاره حول موضوع الطبيعة البشرية و يعبر عن استهزائه بالحياة المتوحشة و عن قناعته بأن معظم الأدباء يتلقون المعاملة السيئة من معاصريهم، يقول فولتير: " لقد تلقيت كتابك الجديد يا سيدي حول الجنس البشري، و إني لك من الشاكرين أنت ستحظى بإعجاب الناس لكونك تقول لهم واقعهم و لكن لن تصلح حالهم...عندما يقرأ المرء كتابك تنتابه الرغبة في أن يمشي على أربع أرجل، و مع ذلك يستحيل العودة إليها...أن أتفق معك على أن الآداب و العلوم سبّبت في بعض الأحيان الكثير من السوء، مثلا نجد أعداء غاليلو قد جعلوه يتألم في السجون وهو في السبعين من عمره، لأنه عرف أن الأرض تدور و ما يثير الخجل أكثر هو أنهم أجبروه أن يتراجع عن كلامه".[1]

[1] فولتير، **كانديد**، تر: آنا ماريا شقير، (دار و مكتبة الهلال و دار البحار، بيروت، ط1، 2005)، ص 318- 319.

يرى فولتير بأنه لم يقم أحد بمثل هذه المحاولة التي قام بها روسو في تحويل البشرية إلى وحوش و حيوانات[1] ، و قد أحزنه(فولتير) أن يواصل روسو بحثه إلى الوحشية في كتابه " العقد الاجتماعي" و من خلال رده هذا حدثت مشاجرة بين فولتير وروسو و تأزمت العلاقة بينها، و في نفس السنة أهدى روسو كتابه " في أصل التفاوت بين الناس" إلى آباء المدينة فقوبل ذلك بالرفض منهم لرفضهم المساواة مع المواطنين العاديين، فكان هذا يعتبر عائق يحوله دون العيش في جنيف، إضافة إلى أن فولتير كان يعيش هناك ككاتب مسرحي ولكن جنيف في ذلك الوقت كانت ترفض التمثيل الدرامي لأسباب بيوريتانية*، فحاول فولتير رفع تلك الأسباب، فأنضم روسو إلى قوائم البيوريتانية مؤكدا على رفض التمثيل، فكانت فرصة روسو للانقضاض على فولتير فأقام روسو من نفسه بطلا لفضيلة الزهد.

مع حدوث زلزال لشبونة 1755م، نظم فولتير قصيدة " حول دمار لشبونة" تشكك في تحكم إلهي للعالم، فاستنكره و نقده روسو حيث يرى بأن فولتير من جهة هو يعتقد بوجود الله ومن جهة أخرى يرى بأنه كائن شرير لما يحدث و حدث خاصة الزلزال، يقول روسو: " إن فولتير عندما يبدو أنه يؤمن بالله لا يؤِمن في الواقع إلا بالشيطان، لأن الإله الذي يدعي أنه يؤمن به ليس سوى شرير لا يجد المتعة في نظر فولتير إلا بفعل الأذى...و برهنت له أنه من بين كل هذه المآسي لا

[1])ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص192.

[*] **بيوريتانية (Puritanism)**: هي حركة دينية نصرانية يقوم فكرها على التزمت و التشدد نشأت في بريطانيا ق 16م و ق 17م و هي حركة التطهير ما تبقى من أثار كاثوليكية في بريطانيا، حيث مجدو الكتاب المقدس و خاصة العهد القديم، أطلقت عليهم بتسمية الأصوليين التي ترمز لتعصب و التزمت و لانغلاق الديني انتشرت بشكل أوسع عام 1660م. //https .18:15.2019./6/11.alencyclopedia.com.

يوجد مأساة واحدة يمكن أن نعزوها للعناية الإلهية أنها كلها تتبع من تعسف الإنسان في استعمال قواه أكثر مما تتبع من الطبيعة نفسها"[1].

بذالك يحمل تناقضا في فكره وهو دائما يصور تلك الصورة القاسية و المفزعة للفواجع مما ينجر عنه اليأس و التشاؤم في نفوس متلقيه و مستمعيه. أما روسو فيرى الزّلزال على أنّه أمرٌ لا يستحق كل هذه الدعاوى، فمن الخير أن يموت الناس من حين لآخر، فأخذ كل منهما يفسر الزلزال لاهوتيا و أخلاقية تمثيليات المسرح مما زاد من حدة العداء بينهما، فاعتبر فولتير روسو رجلا مجنونا عابثا، و كان روسو يتحدث عن فولتير كأنما هو بوق اللاتقوى تلك العبقرية الرفيعة و تلك النفس الخسيسة.[2]

لقد اعتقد فولتير أن ما ذهب إليه روسو من نبذ المدينة و الحضارة و العلوم ليس سوى هذيان صبياني سخيف، إن حياة الإنسان في حالة المدينة أفضل من حياته في الحالة الوحشية. وهو يذكر روسو بأن الإنسان بطبيعته وحش مفترس و إن المجتمع المتمدن يعني تقييد هذا الوحش و تكبيله بالقيود و السلاسل و التخفيف من وحشيته، هذا بالإضافة إلى إمكانية تطور العقل و التفكير عن طريق المجتمع المنظم[3]. و هنا فولتير يعارض و يرفض فلسفة و توجه روسو التي نادى فيها بالحالة الطبيعية للإنسان في المقابل رفضه للتقدم و الحضارة و يرى بأنها مصدر

[1]) فولتير، كانديد، المصدر نفسه، ص 322 – 323 .

[2] برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة، مرجع سابق، ص 294..

[3] ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص192.

الشرور للجنس البشري، في حين أن فولتير يدعو إلى المدينة والتقدم عن طريق العقل و التثقيف و تحريره من كل ما هو قديم و سلبي و إيمانه بقدرة العقل على البناء و التجديد.

يعترف روسو بأنه يكره فولتير و مع ذلك يبقى معجبا بعبقريته الرفيعة و كتاباته المتنوعة فيقول:"فإن لم يكن فيك شيء يمكنني أن أشيد به إلا مواهبك فإن هذا ليس خطئي".[1] وعلى الرغم من ذلك العداء فقد هاجم فولتير السلطات السويسرية لمصادرتها كتاب روسو و إحراقه تمسكا بمبدئه " إني لا أتفق معك في كلمة واحدة مما قلته و لكني سأدافع عن حقك في الكلام و حرية التعبير عن أفكارك حتى الموت". و عندما هرب روسو من مئات الأعداء الذين كانوا يطاردونه ويحاولون الاعتداء عليه أرسل له فولتير دعوة صريحة كريمة ليقيم عنده.[2]

على الرغم من الاختلاف بين النزعتان الروحيتان الكبيرتان في القرن الثامن عشر المتمثلتان بروسو ذو الاتجاه الغريزي العاطفي و فولتير العقلي إلا أن هدفهما كان واحد و هو إبراز قيمة ما هو إنساني على وجه العموم و أن الإنسان بوصفه إنسان يحمل في ذاته كل ما يحتاج إليه للحياة، و كذالك أن قيمة الفلسفة في نظرهما تقوم على علاقاتها بما هو إنساني وإمكانيتها في التأثير في مجرى حياة الناس.[3] و من ذلك كانت الأفكار التي دعا إليها كل من

---

[1] روسو نقلا عن برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة، مرجع سابق، ص295.

[2] ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص192.

[3] برنار غروتويزن، **فلسفة الثورة الفرنسية**، تر: عيسى عصفور،(منشورات البحر المتوسط و منشورات عويدات، بيروت (باريس) ط1، 1982)، ص125.

فولتير و روسو بمثابة الوقود الذي أشعل الثورة الفرنسية التي ترفض و تنكر كل ما كان و كل ما هو كائن، التي تدعو إلى تحقيق الحرية و الإخاء و المساواة.

المبحث الثالث: مشكلة الحرية في الفلسفة الغربية الحديثة جون لوك وليبنتز نموذجا.

يعتبر القرن السابع عشر عصر النهضة الأوروبية التي بدأت مع غاليلو Galileo* Galilee (1564–1642) منذ ثورته العلمية، و تبلورت مع ديكارت** Descartes Rêne(1596-1650)، وجون لوك*** John Locke (1632–1704) و غيرهم من الفلاسفة و المفكرين، وقد كانت بداية النهضة علمية ثم شملت الجوانب الاجتماعية والدينية والسياسية، وعملت على دحض و إلغاء سلطة الكنيسة والدين الذي كبل و قيد حرية الإنسان، استطاع الفلاسفة أن ينظروا في قضايا جديدة تخص الجانب الإنساني أهمّها مشكلة الحرّية التي هي خاصة إنسانية و ضرورية تظهر في علاقاته مع المجتمع و الدولة، ومن هؤلاء جون لوك و ليبنتز **** Gottfried Wilhelm Leibniz (1647–1716).

يعتبر جون لوك واحدا من أهم رواد الفلسفة الإنجليزية التي تأثر بها فولتير كثيرا خاصة أثناء فترة إقامته في انجلترا، حيث يظهر ذلك الإعجاب و التأثر في فلسفته التي استقى و بنى

*) **غاليلو غاليلي**: عالم إيطالي أحدث ثورة كبرى في الفكر العلمي و الديني في عصره وصاحب نظرية مركزية الشمس.[جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص432].

) **ديكارت: أول فيلسوف محدث و عالم رياضي، درس في مدرسة لافليش حيث تلقى مبادئ الإيمان و التاريخ و الفلسفة.[جورج طرابيشي،المرجع نفسه، ص298].

***) **جون لوك**: فيلسوف إنجليزي ولد في رنغتون في، درس في جامعة أكسفورد درس الأدب و الفلسفة ثم الطب واهتم بحركة عصره العلمية.[جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع نفسه، ص598.].

****) **ليبنتز غوتفريد فلهلم**: فيلسوف ألماني وعالم بالرياضيات و لاهوتي وكيميائي وهندسي و مؤرخ و دبلوماسي ولد لايبنزغ درس في نيكولاي تعلم اللاتينية و اليونانية واهتم بالمنطق والميتافيزيقا فصار مصدر هواجسه و وسيلة تهدئتها في آن معا. [جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع نفسه، ص587.].

أفكاره على خلفية فلسفة لوك، أما ليبتنز الألماني الذي كانت فلسفته و نظرته للعالم تفاؤلية إلى أبعد الحدود، فجاء فولتير ناقدا و مستنكرا ذلك، بل على عكس ما يقول حيث كانت نظرته للعالم تشاؤمية.

أولا: الحرية عند جون لوك:

لم يكن حضور لوك في الجانب الفلسفي فقط، إنما تعدّاه إلى تطبيقه في ميدان السياسة والتنظيم الاجتماعي، فقد كان نصير لسيادة الشعب وهذا الأخير من واجبه أن يتمتّع بكافة حقوقه والتي أهمّها الحقّ في الحياة و الحقّ في الملكية والحق في الحرية، وهذه الأخيرة تمثل الشخصية والشخصية أساس الفردية[1]. فجل كتابات لوك كانت موجهة بصفة أساسية نحو التبرير النظري للنظريات السياسية، فكتب "رسالتان في الحكومة"، حيث خصص الرسالة الأولى "عن الحكومة" لدحض ونقد توماس هوبز Thomas Hobbes*(1588-1679) الذي حصر أشكال الحكم في الملكية المطلقة التي تتبني عنده على هذا الأساس " ما من إنسان يولد حر "[2].

حيث يرى أن الملك يحكم عن طريق الحق الإلهي الموروث والذي يتمتع بالحكم المطلق لرعياه وعليهم طاعته، فللملك الحق في وضع القوانين التي تتراء له، والتي يسير الشعب بمقتضاها دون معارضة، لأنه من المستحيل أن يضع الشعب بنفسه قانونا يقيد به حريته، وأن الدولة التي

---

[1] فاروق عبد المعطي، **جون لوك**، (دار الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1993)، ص13- 14.

[*] **توماس هوبز**: فيلسوف إنجليزي ولد في هاردوريك درس في إكسفورد، كان نصير لقضية الحكم المطلق و صاحب نظرية العقد الإجتماعي.[جورش طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 708.]

[2] جون لوك، **في الحكم المدني**، تر: ماجد فخري (اللجنة الدولية لترجمة الروائع، (د.ط)، بيروت، 1959)، ص6.

يحكمها الملك ليست سوى امتداداً طبيعيا للأسرة التي يفوضها الإله لتولّي الحكم، لذلك يجب أن يخضع الشعب خضوع أبناء الأسرة لحاكمها الأكبر، حيث اختلف لوك مع هوبز في وصفه لحالة الطبيعة الأولى فهوبز يرى أن الإنسان كان يعيش في مرحلة الصراع مع الأخرين، أي حرب الكل ضد الكل وحالة من الفوضى، أما لوك على عكس من ذلك كان يعتقد أن الإنسان في الحالة الطبيعية كان ينعم بالحرية والسلام والمساواة[1].

لكي ندرك طبيعة السلطة السياسية إدراكا صحيحا ونستنبطها من مصدرها الأصلي ينبغي لنا أن نفحص عن الوضع الطبيعي الذي نجد البشر عليه وهو وضع من الحرية التامة في القيام بأعمالهم والتصرف بأملاكهم و بذواتهم كما يرون، ضمن إطار السنّة الطبيعية وحدها ودون أن يحتاجوا إلى إذن أحد أو يتقيدوا بمشيئة أي إنسان، فهو وضع من المساواة أيضا حيث تتكافأ السلطة والسيادة كل التكافؤ فلا يكون حظ أحد منهما أكثر من حظ الأخر. إذ ليس أثبت من أن مخلوقات من نفس النوع المرتبة نفسها تنعم دون تميز بالميزات الطبيعية ذاتها و بالوظائف عينها ينبغي أن تتساوى كل التساوي بينها دون أن يسخر واحدها من لأخر أو ينقاد له ما لم يُنصّب ربهما واحدا منها رئيسا على سائرها، ويعلن عن رغبة في ذلك إعلانا صريحا، أو يسبغ عليه حقا لا مراء فيه بالسيادة والحكم، على وجه واضح كل الوضوح.

[1] إبراهيم مصطفى، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم** ،ج 1(دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د.ط، الإسكندرية، 2000) ص 282.

مع أن هذا الطور الطبيعي طور من الحرية فالإنسان في هذا الطور يتمتع بحرية التصرف بشخصه وممتلكاته ...الخ. فالطور الطبيعي سنّة طبيعية يخضع لها الجميع، والعقل هو تلك السنّة يعلم البشر جميعا لو استشاروه، إنهم جميعا متساوون و أحرار، فينبغي أن لا يوقع أحد منهم ضررا بحياة صاحبه أو حريته أو ممتلكاته.[1]

بدأ الصراع ينشب بين الناس عندما تم تحديد الملكيات الخاصة بهم وعندما قال الإنسان هذا لي مما جعل حق الملكية حق طبيعي يقوم على العمل ومقدراه لا على الحيازة أو القانون الوضعي، وأن حق الملكية يستلزم شرطين الأول أن المالك لا يدع ملكيته تتلف وتهلك والثاني أن يدع للأخرين ما يكفيهم فإن هذا الحق لهم، فبتوافق الشرطين تبقى حرية العمل مكفولة دائما للجميع[2]. فبتقسيم الملكيات جعل الحق الملكية الطبيعي يتحول من المجتمع الطبيعي الآمن إلى مجتمع حرب وعداوة لا تنتهي ولن تنتهي بين الناس إلى يوم الدين.

يؤلف عدد من الناس جماعة واحدة بموافقة كل منهم، فتلك الجماعة تصبح هيئة واحدة لها صلاحية التصرف كهيئة واحدة، أي كما يختار الأكثرية وتقرر. لأن ما يحرك جماعة ما إن هو إلا موافقة أفرادها، ولما كانت الجماعة تؤلف هيئة واحدة اقتضى أن تتحرك في اتجاه واحد فلزم أن تتحرك تلك الهيئة في الاتجاه الذي تدفعها فيه القوة الغالبة، وهي موافقة الأكثرية. وإلا استحال أن تفعل أو تستمر كهيئة واحدة، أو جماعة واحدة كما أراد كل فرد التحق بها أن تكون فيتوجب على

[1] جون لوك، في الحكم المدني، مرجع سابق، ص139-140.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى إلى هيوم، مرجع سابق، ص282.

كل فرد إذن أن يتقيد بقرار الأكثرية، لذلك نجد في المجالس التي خولتها القوانين الوضعية إصدار الأحكام، دون أن تحدد عدد أعضائها، إن قرار الأكثرية يعتبر بمثابة قرار المجموع فكان يلزم ولا شك، مادام عبارة عن سلطة المجموع، وفقا لكلا العقل و السنّة الطبيعية[1].

لذلك كان لابد من أن يتفق الناس طواعية و اختيارا على عقد العقد الاجتماعي فيما بينهم يكفل الحياة الآمنة بين الناس. وتعني فكرة التعاقد الإجتماعي تعاقد يضم طرفين هما الشعب والحكومة أو الملك ولا يصبح العقد لاغيا إلا إذا أخل أي طرف منهما بالتعاقد، فإذا حدث وأهمل الملك مسؤولياته تجاه الشعب تعيّن عزله، و بموجب هذا العقد يتنازل الأفراد عن حقهم في الحياة وفق قانون الطبيعة، وعن الحق في عقاب من يخرج على هذا القانون، لذلك تتناول طبيعة العقد الإجتماعي الموافقة من قبل الأفراد أو الأغلبية عن التنازل عن جزء من حقوقهم الطبيعية الخاصة بالدفاع عن أنفسهم و معارضة الخارجين عن القانون الطبيعي للمجتمع ككل[2]. الغاية والغرض من العقد الاجتماعي حفظ الحقوق الطبيعية وحفظ الحريات وبناء مجتمع على أساس القانون الذي يكمن في تحقيق مصلحة الأفراد وتحقيق النفع العام لهم، فغاية القانون حفظ الحرية و تنميتها يعني هذا أنه فلا وجود للقانون يعني لا وجود للحرية، و بالتالي يتصرف الفرد وفق حرية و إرادة في حدود ما يسمح به القانون.

[1] جون لوك، في الحكم المدني، مرجع سابق، ص195.

[2] يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، (دار المعارف، القاهرة، ط5، 1986)، ص 151.

لقد أعطى لوك بنظريته في العقد الاجتماعي الكلمة العليا للشعب مما ينتج عنه أموراً ثلاثة هامة:

أ- أن حق الأغلبية سوف يمثل القاعدة الأساسية في المجتمع و مصدر السلطة التشريعية أو التنفيذية، مما يتحتم معه إخضاع الأقلية للإرادة العامة .

ب- تقييد سلطة الحاكم بقيدين هما: ضرورة تنفيذ نصوص القانون والمراعي فيها الحقوق الطبيعية، و الإلتزام بالعقد الإجتماعي الممثل لطرف الثاني.

ج-إن أي إخلال للحاكم سواء كان ملكا أو غيره بالمسؤولية وتعديه لحدوده المخولة له من قبل الشعب يستوجب عزله والثورة عليه و اختيار من يحل محله في الحكم[1] .

وقد دعا إلى ضرورة عدم اجتماع السلطات في يد واحدة وإلا مال الحكم والنظام السياسي إلى الديكتاتورية*، هذا فضلا عن مناداته باستخدام الحرية كمبدأ أساسي للنقد.

لقد نادى لوك بضرورة فصل الدين عن الدولة، ولما كان من حق الإنسان أن يمارس حرية العقيدة الدينية، فإن لوك يرى أنه من الحق أن نفصل بين الدين والسياسة، فالسياسة للجميع والدين خاص لذلك فليس من سلطة الدولة أن تتدخل في الشؤون الدينية للأفراد ولكن من ناحية أخرى يجب أن تواجه بشدة الدّعوة إلى الإلحاد، وقد دافع عن الحرية الدينية من خلال كتابه "رسالة في التسامح" 1689، الذي رفض فيه كل أشكال الاضطهاد و التسلط و ممارسة القهر على الإنسانية

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص284.

*

مهما كانت عقيدته، ومن ذلك يرى بأن التسامح الديني هو العلامة المميزة للكنيسة الحقّة. البعض يتباهى بقدم الأماكن والألقاب، أو بعظمة الطقوس، والبعض يزهو بصلاح إيمانه بينما يفاخر الجميع بما يعتقدون أنّه الإيمان الحقّ الذي يشاركهم فيه أحد، هذه كلها وغيرها مما على شاكلتها إنّما هي علامات على شهوة البشر في تسلط كل منهم على الآخر أكثر مما هي علامات على حب كنيسة الله. أما وظيفة الدّين الحقّة فهي مختلفة تماما، فالدين الحق لم يتأسس من أجل ممارسة القهر، ولكن من أجل تنظيم حياة البشر استنادا إلى قواعد الفضيلة والتقوى[1].

لكن من أجل ألا يدعى هؤلاء الذين يمارسون الاضطهاد والقسوة، والذين لا ينتمون إلى المسيحية في شئ، أنهم يقومون بهذه الأفعال من أجل الصالح العام، وتنفيذ القانون، ومن أجل ألا يسعى الآخرون بدعوى الدين، إلى أن يجدوا في الدين خلاصا لما يرتكبونه من إباحية وانحلال ومن أجل ألا يفرض أحد على نفسه أو على غيره أي شيء تحت دعاوى الولاء والطاعة للأمير أو الخلاص و الوفاء في عبادة الله. يقول لوك: " إنه من أجل هذا كله ينبغي التميز بدقة وضوح بين مهام الحكم المدني وبين الدين وتأسيس الحدود الفاصلة و العادلة بينهما. إذا لم نفعل هذا فلن يكون هناك نهاية للخلافات التي ستنشأ على الدوام بين من يملكون الاهتمام بصالح نفوس البشر من جهة، ويهتمون بصالح الدولة من جهة أخرى"[2]. و يرى لوك أن الدولة مجتمع من البشر يتشكل بهدف توفير الخيرات المدنية و الحفاظ عليها و تنميتها

[1]) جون لوك، **رسالة في التسامح**، تر: منى أبو سنه، (المجلس الأعلى لثقافة، ط1، الإسكندرية، 1997)، ص19.
[2]) المرجع نفسه، ص 23.

هو يعني بذلك الخيرات المدنية الحياة، الحرية، الصحة بالإضافة إلى امتلاك الأشياء مثل المال والأرض البيوت...الخ.

ينادي لوك بالحرية بمختلف أنواعها السياسية و الدينية و الاقتصادية، حيث كل عمل من أعمال لوك هو فحص تعليمي لمبدأ الحرية البشرية فهذه الصرخة المدوية التي أطلقها لوك في إنجلترا في القرن السابع عشر تجاوبت أصدائها في أوروبا كلها، و كان لها تأثير مباشر في نجاح الحركات التحررية التنويرية التي قامت بها الملايين المكافحة و الشعوب التي كانت تسخر لخدمة الاستغلال والإقطاع الاجتماعي و الاقتصادي والديني. فكان لفلسفته تأثير مباشر مثلا في نجاح الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر وذلك نتيجة لتأثير أراء لوك في فلاسفة التحرير الفرنسيين أمثال فولتير و مونتيسكيو(1689-1755)Charles de Montesquieu* و روسو. فقد تبنى فولتير أفكار لوك عن الحرية و التسامح و ظل طوال حياته يهاجم كل تعصب و خاصة الديني منه وينادي بالحرية. إلا أن أهمية لوك وتأثيره السياسي لم يقتصر على فرنسا و أوروبا فقط، بل تعدتها كذلك إلى أمريكا إذ أنه يعتبر مصدر التفكير السياسي الذي ساد الولايات المتحدة الأمريكية إبان ثورتها. وهو الفيلسوف الذي أخذ عنه قادة الثورة الأمريكية أفكاره حين وضع وثيقة الإستقلال فحين نادت الثورة الأمريكية بحرية الفرد الشخصية إنما كانت في الواقع تردد نفس أنغام الحرية

*) **مونتيسكو**: اسمه الكامل شارل لوي دي سوكوندا دي لابريد ودي، كاتب أخلاقي و مفكر وفيلسوف فرنسي، درس القانون في بوردو حيث تخرج محاميا 1708، أهم مؤلفاته روح القوانين. [جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص652-653].

التي طالما رددها جون لوك وثار من أجلها ، و بالتالي تبلور هذا النداء بالديمقراطية باسم الحرية و المساواة[1].

لقد بالغ لوك في التأكيد على حالة المجتمع الطبيعي الذي يرى بأنها الحالة السوية التي تمكن الإنسان من حق المساواة الطبيعي، متجاهلا مختلف الفروق بين الناس، كالفروق في السن و الفضيلة و البنية الجسدية...الخ كل هذه الفروق و غيرها قد تضع الناس في مكان الصدارة دون غيرهم، كما قد يضع التفوق أناسا أخرين فوق المستوى العادي.

[1] فاروق عبد المعطي، جون لوك، مرجع سابق، ص14– 15.

ثانيا : الحرية عند ليبنتز:

إن فكر وفلسفة ليبنتز لم تنحصر في المجال العلمي والرياضي، بل تعدّتْها إلى معالجة المشاكل الإنسانية من أبرز تلك المشاكل التي عالجها مشكلة حرية الإنسان من خلال كتابه "مقالات في عدل الله" .حيث اعتقد ليبنتز بحرية الإرادة الإنسانية، فالإنسان له الحرية أنْ يُقرّر ما يراه ذلك لأسباب في طبيعته تجعله يقرر ما يقرّره، ويرى أنّ الله حدد للناس حريتهم، كما حدد لهم وجودهم، إذن فالحرية منحة من الله للإنسان ولكن هذه الحرية لا تمنع الإنسان من ارتكاب الخطايا، فوجود الحرية مع الخطأ أفضل من الافتقار إليها كلية[1].

إن إرادة الإنسان تنبع من ذاته و تحقق ما تتضمّنه من أفعال، وهذه الإرادة أساسها العقل والإنسان يكون حرا بقدر تجاوزه لأهوائه ونزواته، فالإنسان حين يعمل على أساس عقله و حريته فإنه يجد نفسه في انسجام كامل وتام مع العالم كله والله ونفسه[2]، فيؤكد ذلك بقوله:"كلما كانت أعمالنا موافقة للعقل كنا أحرار وكلما كانت خاضعة للأهواء كنا عبيدا، ذلك أننا كلما تصرفنا بمقتضى العقل كانت تصرفاتنا موافقة لكمال طبيعتنا وكلما جرفتنا الأهواء واستغرقتنا الأشياء الخارجية وقهرتنا"[3]. والحرية لا تتنافى مع وجود الشر حيث يقول: في كتابه "مقالة في الميتافيزيقا" " فكما أن أدنى الشر شر يتضمن نسبة ما من الخير، فكذلك يتضمن أدنى الخير شر"[4]. يطرح

---

[1]) إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص335.

[2] أمل مبروك، **الحرية و العناية الإلهية**، www.alba wabh news.com تاريخ المشاهدة، 2019/02/16، 11:30.

[3] جلال الدين سعيد، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، (دار الجنوب للنشر، تونس، (د.ط) 2004)، ص159.

[4] ليبنتز، **مقالة في الميتافيزيقا**، تر:الطاهر بن قيزة (مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، بيروت، 2006)، ص 92.

ليبنتز مشكلة الخير و الشر في العالم، ومكانة الإنسان منهما، فهو يؤمن بوجود قدرة إلهية رحيمة فيؤكد على أن ما يفعله الله و ما سيفعله أكمل ما يكون و أن الله حكيم يميل إلى الأفضل فقواعد الخير و الكمال و العدل نتائج لإرادة الله. قدرة الإنسان و معرفته قاصرة على معرفة كمال الله وتدبيره ولا يمكنه أن يميز بين ما هو خير و ما هو شر بالنسبة له، فقد يحدث الشر لكنه يتضمن الخير وقد يحدث خير و في طياته شر، فمعرفة الخير و الشر أمر نسبي بالنسبة للإنسان الذي بطبيعته معرفته قاصرة، لذلك يُحدّد ليبنتز ثلاثة أنواع للشّرّ في العالم:

1-الشر الميتافيزيقي: ويتمثل في النقص الذي يلاحظه المرء في كل المخلوقات و هو أمر لا مفر منه، لأن النقص من لوازم الموجود المخلوق المتناهي، والكمال هو كمال الله.

2-الشر الطبيعي: ويتمثل في الألم الذي يعاني منه أغلب الناس ، وإذا كان الله يسمح به فذلك لحكمة أرادها من وراء ذلك (الزلازل والبراكين ...) .

3-الشر الخلقي: يتمثل في الذنوب و المعاصي ويرجع ذلك إلى حرية الإنسان و هذه الحرية في حد ذاتها خير،ولكن الشر ناتج من سوء استخدام الإنسان للحرية الممنوحة له من قبل الله تعالى[1].

هذا الشر قد يكون سبب لخير أعظم و عالم أجمل،و إذا كان للشر هذين الهدفين خرج عن كونه يمثل شرا، وأصبح خيرا، لذلك يسمح به الله، والشر نفسه يكمن في الانعدام لا في الكيان

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 236.

الإيجابي و بذلك ليس له علة فاعلة و لايريد الله الشر مطلقا.[1]هذا ما يفسر نزعة ليبنتز التفاؤلية في العالم الذي يعتبره خير العوالم الممكنة أفضلها، فحتى مع وجود الشرور في العالم يثبت العدل الإلهي و خيرته، فالشر مصدره الإنسان الذي يسيء استخدام إرادته الحرة.

[1] فريدريك كوبلستون، **تاريخ الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى ليبنتز**، مج4، تر: سعيد توفيق و محمود سيد أحمد، (المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013)، ص437.

الفصل الثاني

في ماهية الحرية عند فولتير

المبحث الأول : الحرية لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني : مفهوم الحرية عند فولتير.

المبحث الثالث : الحرية الدينية و الحرية السياسية.

أ-الحرية الدينية.

ب- الحرية السياسية.

الفصل الثاني:في ماهية الحرية عند فولتير

إن التطور الحضاري لمجتمع ما يرتبط ارتباطا وثيقا بالتطور العلمي والسياسي والفكري على السواء، و هذا مرهون بمدى وعي الإنسان بحريته و ممارسته لها، ومن ذلك تتعدد مفاهيم الحرية* وتختلف اختلافا جذريا بحسب المذاهب الفكرية للفلاسفة وتوجهاتهم .

المبحث الأول : الحرية لغة و اصطلاحا:

الحرية لغة : جاء في معجم **لاروس** الحرية (laliberte):"اسم مؤنث من أصل لاتيني ليبرتاس (lat-libertas) وتعني حالة الشخص الذي يكون غير خاضع للعبودية أو السجن"[1] فالحرية هي تلك الخاصة بالشخص، بالصورة الإنسانية بصفة عامة وشمولية، بغض النظر على الأجناس و الأعراف و الأديان والألوان... فتصبح الحرية بذلك حق لكل شخص سواء فرد أو مؤسسة أو دولة فمبدأ الحرية عام ولا يقتصر على فئة معينة. والشخص قد يكون طبيعيا من حيث أنّه مظهرٌ لذاته الواعية، و شخص معنوي من حيث أنّه هذه الذات الواعية وشخص قانوني من حيث إنه له حقوق و واجبات معينة ليست للعبد الرقيق[2]، وهذا الأخير الذي يكون في

*) **الحرية** هي خاصة الكائن الذي لا يخضع للجبر و يتصرف بدون قيود وفقا لما تمليه عليه إرادته و طبيعته، و الحرية عندما تكون مضادة للحتمية فإنها تدل على حرية الاختيار أي الفعل عن إرادة.[جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، مرجع سابق, ص 160.].

و يعرفها جميل صليبا: **الحرية**: الحر ضد العبد،والحر الكريم، و الخالص من الشوائب، و الحر من الأشياء أفضلها من القول الفعل أحسنه [جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج1،(دار الكتاب العلمي، بيروت، د.ط، 1994) ص461.].

1) Dictionnaire de francais , **Larousse**,2010,p587.

2) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، ص 435.

وضعية أو حالة عبودية التي تحده وتمنعه من ممارسة أفعاله بحرية، فهو في حالة إكراه و إجبار على القيام بفعل دون أخر تكون حريته و إرادة أفعاله محدودة و مقيدة بقوة خارجية تحده وتمنعه من ممارسة حريته، كأداء واجبه نحو سيده دون أخذ حقوقه و حريته، وكذلك بالنسبة لحالة السجين الذي يعاني نوعا من القسر و التقيد وبالتالي تكون حريته و إرادة أفعاله محدودة و مقيدة بقوة تحدّه وتمنعه من ممارسة حريته.

أما في **معجم أكسفورد** فيعرف الحرية: "بأنّها أن يفعل الإنسان ما يشاء وأن يذهب متى شاء كما تسمح للأفراد بممارسة الحقوق المدنية مهما كلّفهم الثمن"[1]، ومنه فالحرية هي فعل الإنسان النابع من إرادته ومن ذاته أن يفعل ما يشاء ومتى شاء لما تخوّله وتمنح له حرية التّصرف في أفعاله و اتخاذ قراراته وتكفل له حقوقه المدنية للتمتع بها.

أما الحرية **في الاصطلاح الفلسفي:** فلها عدة تعاريف حيث يقول **أندريه لالاند:** " الإنسان الحر هو الذي لا يكون عبدا أو سجينا، و الحرية هي حالة ذلك الذي يفعل ما يشاء وليس ما يريده شخص أخر سواه، أي غياب الإكراه الخارجي"[2] وهذا بمعناه القديم، فلقد ساد قديما نظام العبودية عبودية الإنسان و استرقاقه، من خلال بيعه و شراءه وتملّكه و استغلاله في الأعمال الشاقة، فهذا النظام من العبودية الذي يفرض عليه أفعالاً دون أخرى أفعال محدّدة ومقيدة خارجة عن قراراته وإرادته، العبودية التي سلبت الإنسان حريته في ظل هيمنة الإقطاعية و الملكية عليه

---

[1] **Oxford** word power dictionary,University paris,2006,p424

[2] أندريه لالاند ،**الموسوعة الفلسفية**، مج1، تر: احمد عويدات، (منشورات عويدات، بيروت– باريس، ط2)، ص727.

وجعلته يتصرف في إطار محدود. كذلك الحال بالنسبة للسّجين الذي أفعاله خارجة عن إرادته،ومنه فالعبودية والسجن تقف حاجزا أمام حرية الإنسان مما يعني وجود قوة خارجية تُكرِه الإنسان على أفعاله وتصرفاته وتتحكم فيه .

يضيف **لالاند** تعريف الحرية بمعناه العام فيقول: "حالة الكائن الذي لا يعاني إكراه الذي يتصرف طبقا لمشيئته ولطبيعته"[1]،أي أنّ الحرية هي خاصة بالموجود، يعني الإنسان وما عداه من الكائنات الموجودة الأخرى من الحيوانات و النباتات، لكن الإنسان يتميز عن تلك الكائنات بأنّه الكائن الناطق العاقل الذي يصدر أفعاله عن إرادته ووفقا لما تمليه عليه طبيعته، فالحر هو الموجود الخالص من كل القيود والإكراهات الخارجية، أي الوضعية التي يكون عليها الإنسان الذي لا يخضع لأي قسر أو قوة خارجية عن إرادته ترغمه على أداء فعل معين بل يتصرف ويفعل حسب إرادته وطبيعته، ولما يتمتع به من استقلال داخلي وذاتي، بعد تفكير وروية، مع استطاعته على اختيار أي فعل، حرية أن يفعل وألا يفعل.

صحيح أن الحرية هي إصدار الفعل عن إرادة حرة، ولكن مع ذلك تبقى لها حدود تتحكم في أفعال الناس كالحدود الاجتماعية والسياسية والقانونية والدينية، فهي بهذا ليست حرية مطلقة تماما، وإلا ساد المجتمع حالة من الفوضى والتسيب واللامبالاة، وإذا قلنا ما تمليه علينا إرادتنا فيكون ذلك الفعل مصحوب بمسؤولية الفرد اتجاه أفعاله التي يتصرف بها وما ينتج عنها من

[1] أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص727.

نتائج. فالحرية أن يتمتع الفرد بحقوقه مع عدم إلحاق الضرر بالأخرين، أن يؤدي الإنسان فعله في حدود ما يسمح به القانون والمجتمع .

المبحث الثاني: مفهوم الحرية عند فولتير:

يعتبر فولتير أحد أهم مفكرين القرن الثامن عشر البرجوازيين و رائد لحركة الأنوار الفرنسية حيث كرس حياته لخدمة الإنسانية و الدفاع عن الحريات من خلال كتاباته الأدبية و الفلسفية، بل و حتى المسرحيات التمثيلية التي تحمل نقدا لاذع و سخرية كبيرة لرجال الدين و السياسة في عصره، إضافة إلى إبرازه لصورة الواقع الأكثر تقهقرا،و محاولة لإيجاد الحلول من أجل أن ينعم الإنسان بحياة الأمن و الاستقرار تسودها الحرية و المساواة. فما مفهوم الحرية؟ و ما أنواعها في فكر فولتير؟

يعرف فولتير الحرية في قاموسه الفلسفي: " بأنها القدرة الذاتية على أداء أفعال ما تقتضيه الإرادة من ضرورة*مطلقة أي القدرة على فعل الإنسان ما يريد أن يفعله"[1]، ومن هذا المنطلق يرى فولتير أن الحرية ليست مطلقة تماما؛ بمعنى أنها نسبية و محدودة و ما يجعلها محدودة هو ضرورة الفعل ومنه فإرادة الفعل ليست حرة، لأن ذلك الفعل تحكمه الضرورة فالإنسان يصدر أفعاله عن ضرورة تفرض نفسها عليه و تسيطر على أفكاره، ففي رواية كانديد حيث طرح فولتير

---

*) **الضرورة عند الرواقيين:** يرى الرواقيون بأن الإرادة مطابقة للضرورة و هذه الأخيرة تظل قسرا و عبودية طالما بقيت خارجة عن العقل،ومن هنا حاولوا أن يوفقوا بين الحرية و الضرورة و لكنهم انتهوا إلى جعل الضرورة أصل للأشياء بدلا من أن يخضعوا الضرورة نفسها للحرية.[زكريا إبراهيم، **مشكلة الحرية**، (مكتبة مصر، مصر، ط3،1972)، ص47].

أما حديثا مع **هيغل** الذي يعتبر أول من تمثل جيدا العلاقة بين الحرية و الضرورة، بالنسبة إليه الحرية هي عبارة عن تعقيل للضرورة ."الضرورة ليست عماء إلا عندما تكون غير مفهومة".إذن كلما كان حكم الإنسان حرا بصدد مسألة محددة كانت الضرورة التي تحدد فحوى هذا الحكم كبيرة جدا ، وبالتالي تقوم الحرية على التحكم في ذواتنا و في الطبيعة الخارجية المبنية على معرفة الضرورات الطبيعية هكذا فهي بالضرورة نتاج للتطور التاريخي، فالإنسان الأول الذي انفصل عن مملكة الحيوان كان إلى حد بعيد أقل حرية من الحيوانات ذاتها.[محمد الهلالي و عزيز لزرق،**الحرية**، (دار توبقال للنشر، المغرب،ط1، 2009)، ص42].

[1] فولتير, **القاموس الفلسفي**، تر: يوسف نبيل،(مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017) ص 190– 192.

الحرية في الفصول الخمسة الأولى كما تظهر في الفصل الثاني في الموقف الذي حدث للفتى كانديد بين البلغار" و سألوه رسميا ما إذا كان يفضل أن يجلده ستة و ثلاثين جلدة أو أن يطلقوا عليه اثنتي عشر رصاصة في رأسه...فبفضل الهبة التي منحها الله و المسماة بالحرية أن يضرب ستة وثلاثين مرة بمدك البندقية "[1]. بالرغم من الخيارين القاسيين على الفتى كانديد إلا أن عليه أن يختار أي منهما و ذلك بفضل الحرية المخولة له من القدرة الإلهية، مثلا يرى شخص إعلانا فيذهب لقراءته و الإطلاع عليه،من وجهة نظر فولتير أن هذا الفعل لا يصدر عن إرادة حرة بل بفعل الضرورة،لأنه لو لم يستطع أن يمشي أو أن يرى لما اطلع على الإعلان، وكذلك لسبب يفرض نفسه على ذلك الإنسان لأهمية الإعلان في فكره ومنه تعتبر الأفعال حُرّة أما الإرادة فإنها ليست حرّة، فالحُرّية حرية الأفعال أن يفعل ما يشاء وما يريد ولكن تلك الأفعال تحدّدُها الضرورة والعلل.

لو عقدنا مقارنة بين حال الإنسان والحيوان، فالحيوان لديه بالضرورة القدرة على أن يفعل ما يريد كالأكل والشرب والركض والتكاثر ...الخ، فحرية الإنسان تختلف عن حرية الحيوان ذلك لأنّ الإنسان يملك أفكارا و روحاً تعقل، على عكس الحيوان الذي يملك قدرا ضئيلا من الأفكار حتى حرية الأفكار في أن يتمنى كل ما يحلو له نتيجة للأفكار التي قدمت نفسها له ولا يمكنه أن

[1] فولتير، كانديد، مصدر سابق، ص42.

يتمنى خارج سبب، فلا أثر بلا سبب مما يعني أن إرادة الإنسان ليست حرة ولكن أفعاله حرة حينما يملك قدرة أداء الفعل، حيث يربط فولتير الحرية بالمجال العملي التطبيقي[1].

قدم فولتير عدة نماذج عن الحرية الحقيقية وذلك من خلال روايته كانديد حيث تجلى ذلك في الفصل الثامن عشر من الرواية و ذلك من خلال ما شاهده بطل الرواية في بلد إلدورادو*وذلك من خلال سؤاله الذي دار حول القضاء و السجون حيث يقول فولتير في هذا الصدد " سأل كانديد أن يزور دار القضاء فقيل له إنها غير موجودة ... و يسأل عن السجون فيقال له إنها غير موجودة أيضا ".[2] بمعنى أن بلاد إلدورادو هي مثال الحرية الحقة و ذلك من خلال إنعدام السجون وهذا يعني أن جميع شعبها يتمتع بكامل الحرية في مختلف مجالات الحياة السياسية و الدينية والاقتصادية لأن السجون تعني تقيد لحريات الناس، فبلاد الإلدورادو نموذج اهتدى به فولتير عن الحرية المطلقة التي يفتقدها جميع بلدان العالم .

موضع أخر عن ما قاله الملك لكانديد وخادمه: " وهذا الطغيان لا تقره أخلاقنا و لا قوانيننا فجميع الناس أحرار، واذهبا متى شئتما " [3]. فتقيد الحرية في البلاد إلدورادو عمل غير أخلاقي ولا وجود له ضمن قوانين دولتهم، فجميع الناس متساوون في الحقوق و على دين و مذهب واحد .

---

[1] فولتير، القاموس الفلسفي، مصدر سابق، ص 190-192.

* **الإلدورادو:** بلد خيالي يعتبرها فولتير مثال الحرية، اتخذه فولتير كرمز في روايته كانديد عن انجلترا التي أعجب بها.

[2] فولتير، كانديد، مصدر سابق، ص 97 .

[3] المصدر نفسه، ص 98.

حيث يرى بأن الحرية تتمثل في أن يخضع المرء إلا للقوانين، فقد دافع عند الحريات بكل جهده ففي المرتبة الأولى حرية الشخص الإنساني، فالعبودية تتنافى والطبيعة، وكانت الحرية في نظره في المقام الثاني حرية الكلام والصحافة، الضامنة لسائر الحريات الأخرى وذات الأهمية الحيوية بالنسبة إليه، والحرية أيضا حرية الضمير، النقيض المنطقي لتعصب الكاثوليكي.أي حرية التدين وهي أخيرا حرية العمل، أي الحق كل إنسان في العمل، فالعمل هو الملك الوحيد للذين لا يملكون والشعب الذي يفقد حريته يفقد كذلك القدرة على مقاومة الأعداء .

تعدّ الحرية من أسمى حقوق الإنسان الذي يجب أن يتمتع بها و يحققها و يحافظ عليها فكما جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الموجب بقرار الجمعية العامة في 10 ديسمبر 1948 الذي كل مواده تنص على حفظ حقوق الإنسان و كرامته. حيث نجد في المادة الثالثة منه "لكل فرد الحق في الحياة و الحرية وسلامة شخصه "[1] يعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وثيقة عالمية يسعى لحفظ الحقوق و الحريات لكل الأفراد، فهذا الإعلان المشترك بين الكل و الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الأمم و الشعوب، و يجب أن تسعى إلى احترام هذه الحقوق و الحريات والاعتراف بها و مراعاتها بصفة عالمية بين الدول الأعضاء ذاتها و شعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

[1] الجمعية العامة، **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** www. moj.pna.\user files\ file universal declaration human rights.22\2\2019. 15:37.

تعتبر المادة الثالثة منه و التي تتضمن أهم ثلاثة الحقوق التي تخص الإنسان و التي بها يثبت و جوده و إنسانيته، حق الحياة و حق الحرية و الحق في السلامة الشخصية، فحق الحياة حق طبيعي لكل فرد بمجرد و جوده، لكل فرد من حقه أن يتمتع بحياة، فهذا الحق عام وشامل لكل الأفراد في العالم و بلا استثناءات و تمييز حسب القوميات و الأجناس و البلدان ...الخ.

فيعتبر الحق في الحياة من أسمى الحقوق الإنسانية و أقدسها من حق كل فرد أن يحيا حياة كريمة، فإذ حصل و تمتع الفرد بهذا الحق وبالتالي يحصل على بقية الحقوق الأخرى و التي أهمها الحق في الحرية، الحرية في أن يعيش حياته كما يتراء له، الحرية التي تخلصه من جميع القيود والإكراه، و الوصاية التي تفرض سيطرتها عليه، و تحد من حرية أفعاله و سلوكات ، أما الحق في سلامة شخصه، يعني حقه في حفظ سلامته و أمنه، حق السلامة من الاعتداءات والمخاطر التي تهدّده و من أخطر العوامل التي تهدد سلامة الأفراد الحروب وما ينجر عنها من نتائج، حيث أنه في ظل الحروب يعيش الإنسان في خوف و ألم و عاهات و تشرد...الخ فالحروب تسلب الإنسان حقه في سلامته الشخصية و حريته، و الأكثر من ذلك القضاء على حياته.

نلاحظ في هذه المادة الترابط الوثيق و المتسلسل لأهم حقوق الإنسان الحياة والحرية والسلامة، فحق الحياة يتطلب أن يعيش في حرية و سلامة، وحق الحرية يتحقق في ظل حياة الإنسان و سلامته، وحق السلامة لا يتحقق إلا إذا كان الفرد يحيا في حرية، بتحقيقها جميعا يحقّق

الإنسان إنسانيته أي أنّ الإنسان يستحق حقوقه بوصفه إنسان يستمدها من طبيعته الإنسانية لا من غيره كل ذلك من أجل أن ينعم الإنسان بحياة كريمة تسودها الرفاهية.

المبحث الثالث : الحرية الدينية و الحرية السياسية:

قضى فولتير فترة من حياته في انجلترا بعد أن نفي إليها مجبرا فأعجب بثقافتها و نظامها و عاداتها، مما أثر على فكره الأدبي و الفلسفي، فحرر كتابه " رسائل فلسفية" مشيدا بإنجلترا وفي ذات الوقت شنّ حملة نقد لاذعة للأوضاع الفرنسية، السياسية وخاصة الدينية، و رفضه للأفكار المسبقة، و بذل جهده من أجل إشاعة فكر جديد و متجدد مستنير دفاعه عن الحريات الإنسانية منها السياسية و الدينية، و قد بهرته تلك التجربة الإنجليزية.

أ- الحرية الدينية:

يتمثل الجانب النقدي لفولتير الذي حاول بواسطته إيقاظ الفرنسيين بوجه خاص و الأوربيين بوجه عام من غفوتهم و سياستهم، كما في حملته على الكنيسة الكاثوليكية* و لم يكن هجومه يستهدف الدين بذاته بل كان هجومه يستهدف كل عقيدة وتعاليم لا تتضمن التسامح و تضع الإيمان فوق العقل. كما كان هجومه و نقده على رجال الدين المسيحي الذي يصفهم بمخالفة ما جاء به المسيح عليه السلام، و هاجم رجال الإكليروس الذين يعيشون في بحبوحة و أنكر عليهم

*) **الكاثوليكية (Catholicism)**: تعني المذهب الكامل أو مذهب الكافة أو الغالبية ، و يبدو الأساس العرقي في الاختلاف بين الأرذودكسية و الكاثوليكية.[عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، ص679.].

وعلى الكنيسة التي باتت مضربا للأمثال في البذخ و الكبرياء و الخيلاء و الكنيسة التي مارست التعصب والقسوة بتهم الهرطقة و البروتستانتينية* و نحو ذلك.[1]

يرفض فولتير التعصب الديني، فهو يواجه تعصب الكنيسة المسيحية خاصة، و يرى بأنها أكثر الديانات تعصبا و ميلا إلى السيطرة، فلا بلدان الشرق و لا بلدان الرومان و لا اليونان و لا حتى اليهود عرفوا التعصب، فهو من أشد الناس دفاعا عن قضية جان كالاس، الرجل العجوز الذي كان تاجرا من مدينة تولوز الفرنسية، كان أب لأسرة تتكون من زوجة و ولدين و بنتينو كان ابنه الأكبر مارك أنطوان الذي اعتنق الكاثوليكية، كان مضطرب الذهن ويعيش حالة من الاكتئاب و هذا ما جعله يضع حدّ لحياته، و ذلك في ليلة مقررة بعد عشاء عائلي مع صديقه لافيس وأسرته، فأثارت حادثة الانتحار هذه ضجة في مدينة تولوز، فاعتقل الأب اتهاما له بأنه قتل ابنه لأنه ارتد عن البروتستانتينية، مما أثار رجال الدين المتعصبين حملة على كالاس و اتهامه بقتل ابنه فقرروا تعذيبه بالدولاب، ثم اقترفت جريمة قتله في مدينة تولوز بتاريخ 9 مارس 1762 م فكان إعدام كالاس نتيجة تعصب ديني[2].

*) **البروتستانتية Protestantism**: مذهب المحتجين أتباع مارتن لوثر الذي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية، وعلق احتجاجه المشهور على بابها، و أعلن أن المسيحي لا يخضع للأناجيل وحدها و لا يعترف بسلطان لغير الكتاب المقدس، يرفض رئاسة البابا و غيره و أن الكنيسة لا سلطان لها على محو الذنوب، كما خالف عدة معتقدات مسيحية و تنقسم إلى فرق المحافظون و أصوليون و متطهرون و الميثوديون.[عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، ص155].

1) رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الفلسفي الشامل، مرجع سابق، ص385- 386.

2) فولتير، رسالة في التسامح، مرجع سابق، ص9-10.

حينما يقتل رب أسرة بريء ضحية خطأ أو تعصب، وعندما لا يملك وسيلة للدفاع إلا فضيلته وعندما يجوز لهم قتله بمجرد إصدار حكم هنا يخاف كل إنسان على مصيره فالمحاكم التي وضعت للحفاظ على حياة الناس أصبحت السبب في قتلهم و إعدامهم و عندما تعلو الغلبة والخطر ينعدم السؤال، ففي هذه القضية إما أن يكون قضاة تولوز مدفوعون بتعصب قد أمروا بإعدام أب بريء، و إما أن يكون هذا الأب قد شنق ابنه بمساعدة أهله وصديق الضحية، وهذا ما يخالف الطبيعة و في كلتا الحالتين يكون الغلو في الدين حتى و إن كان في من أقدس الأديان قد تسبب في أبشع جريمة و كان يفترض في الدين أن يكون رحيما أو على العكس من ذلك . يقول فولتير " إن من مصلحة الجنس البشري الفحص عما إذا كان يفترض في الدين أن يكون رحيما، أو بالعكس همجيا "[1].

هنا يدعو فولتير الجنس البشري كافة في كل أقطار الأرض إلى ضرورة التعمق ودراسة مسألة الدين، في كل جوانبه والتعرف إذا ما كان الدين رحيما يدعو إلى التسامح و الفضيلة أم انه بالعكس دينا همجيا يدعو إلى التعصب و السبب في الحروب و النزاعات، حيث يقوم على الإكراه و القسر، و بالتالي هذه الدراسة من صالح الجنس البشري حتى يتبين له حقيقة الدين . يقول فولتير في الديانة المسيحية : " لأن ديانتنا إلهية يتعين عليها أن تسود بالحقد و العنف و النفي ومصادرة الممتلكات والسجون...الخ و بالحمد المرفوع إلى الله بهذه الجرائم ". تعتبر الديانة المسيحية ديانة إلهية منّزلة من السماء، على عكس الديانات الوضعية التي ابتدعها الإنسان

[1] فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص19-20 .

وأوجدها، و مادام أنها كذلك أيتعين عليها أن تسود بأبشع الجرائم التي كان ورائها رجال الدين الذين فرضوا عدة معتقدات و قوانين دينية بالجبر و الإكراه، و من جهة أخرى فرضت عقوبات صارمة لكل من خرج عنها و خالفها، و ذلك سبب الاضطهادات و الحروب، التي طالما عانت منها و العامة المستضعفين، و ليس لها من قوة إلا رفع الدعاء و الحمد لله على ذلك فالديانة المسيحية الإلهية، مصدرها إله رحيم خيّر، فلا تكون مصدر للشرور.

يؤكد فولتير على ضرورة العقل وما يعتمد عقل الإنسان عليه شرط عدم الإخلال بالنظام فأمر الإيمان أو عدمه بيد الإنسان، و أنه ملزم بأن يحترم أعراف وطنه، و إذا ادعيتم أن عدم الإيمان بالدين السائد جريمة تكونون قد أدنتم بأنفسكم المسحيين الأوائل، و بررتم موقف الذين تتهمونهم بأنهم نّكلوا بهم و أعملوا فيهم يد القتل، فقد يجيبون بأن جميع الديانات الأخرى من صنع البشر و أنها وضعية بينما الكنيسة الكاثوليكية الرسولية من صنع الله . ويستشهد فولتير بالقديس يوستينوس " تاريخ الشهداء" الكتاب الخامس الذي يقول " لا شيء ينافي الدين كالإكراه"[1] بمعنى أن الدين من أكثر المسائل التي تتنافى مع الإكراه و الجبر، فالدين و العبادة و ممارسة الطقوس يكون بحرية و لكل فرد الحرية في الاختيار دينه و إلهه. فنجد فولتير يدعوا دعوة صريحة إلى الحرية الدينية و هذه الأخيرة تفضي إلى التعددية في الأديان أي وجود أكثر من ثلاثة ديانات في بلد واحد وذلك مما يحقق التسامح و التعايش دون أن تسعى أي واحدة منها إلى إزاحة الأخرى.

[1] فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص 85.

حيث نجد فولتير من خلال إقامته في إنجلترا قد أعجب إلى حد الإفتتان بالحرية الدينية التي يتمتع بها الفرد الإنجليزي، حيث يقول فولتير في هذا الصدد : " لو كان في إنجلترا دين واحد لكنّا نخشى عليها من الاستبداد و لو كان فيها ديانتان لتذابحتا، ولكن بما أن فيها ثلاثة فذاك هو السبب في تلك الأديان تتعايش في سلم وسعادة " فعندما تكون الهيمنة لدين واحد يميل المتحمسون له حتما إلى قمع الأخرين حتى إبادتهم، و من جهة أخرى فإن وجود ديانتين فقط من شأنه أن يغذي التنافس بينهما بشكل كبير مما يسبب حروب أهلية، و من ذلك فالتعددية يعود لها الفضل في فك تلك النزاعات والحروب الدينية يقول فولتير: " لكل فرد الحق في اختيار الطريق التي توصله إلى السماء ".[1] ومن ذلك تعتبر الحرية الدينية من أسمى وأهم الحقوق التي يجب أن يتمتع ويحصل عليها الفرد من أجل اختيار الدين الحق الذي يوصله إلى الله.

رفض فولتير التعصب وتصدى لكل أشكال الظلم و الاستبداد وفي مقابل ذلك يدعوا إلى التسامح بين الأديان و الطوائف، فعكف على البحث و الدراسة في تاريخ الأمم القديمة، خاصة في مجال التعصب الديني، ليعقد مقارنته بالماضي و باللاتسامح التي عرفت به بالمسيحية ويرى أنه في القديم كان الإغريق و الرومان و اليونان بل و حتى اليهود أقل تعصبا مقارنة بالمسيحية، فيستشهد بالإغريق الذين كانوا متسامحين، فلم يعارضوا إنكار الأبيقورين للعناية الإلهية لوجود النّفس، بالإضافة إلى الشيّع و النّحل الأخرى التي كانت جميعها تخالف الفكرة القويمة التي ينبغي

[1] نقلا عن تزفيتان تودروف، (**روح الأنوار**، تر: حافظ قويعة، دار محمد علي لنشر، تونس، ط1، 2009)، ص 132.

أن تكون للبشر عن الإله الخالق، و مع ذلك كانت جميع هذه الفرق مباحة أو مغضوض النظر عنها.[1]

كذلك الرومان القدامى لم يضطهدوا إنسان قط بسب آرائه، فقد شك شيشرون[*] Ciceron, Marcus tulius (106 ق.م –43 ق.م)، في كل شيء، و مع ذلك لم يلقى أي شكل من أشكال الاضطهاد و الاستبداد، بل و تجرأ بلينوس بنفي وجود الله و التأكيد على و جود إله الشمس، إذا سلمنا بأن هذه الأقوال خاطئة و ناطقة بالكفر، و مع ذلك كان الرومان متسامحين إلى أبعد الحدود ما دامت تلك الأقوال لم تقابل بالمعارضة.[2] يقول فولتير: " فهذا الشعب الفذّ ما كان يفكر إلا في أن يغزو العالم، و يحكمه و يأخذ بيده إلى الحضارة...و ما كان الرومان يتعبدون بالديانات كافة و ما كانوا يخلعون الصفة الشرعية الرسمية عليها جميعا، بيدَ أنهم كانوا يسمحون بها بغير ما استثناء "[3].

يعرف الرومان بثقافتهم الواسعة و تقدمهم في كل المجالات فهم دائما يسعون إلى بلوغ أعلى المراتب و درجات الرقي و التحضر فهم شعب لم يعرف غلو ولا تعصب مقارنة بالديانات الأخرى كالمسيحية بالرغم من هذه الأخيرة ديانة إلهية إلا أنها أشد تعصب من الديانات الأخرى التي تعيش في تقوقع مطلق كما أن الرومان عرفوا تعددا في الديانات و مع ذلك لم يتخذوها جميعا

---

[1] فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص49.

[*] **شيشرون .مرقس توليس:** كاتب وخطيب وفيلسوف لاتيني، اشتهر باسم شيشرون، من اشهر مؤلفاته الأكاديميات ، في الحدود القصوى للخيور و الشرور ، في طبيعة الآلهة، العرافة .[جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 409] .

[2] فولتير، رسالة في التسامح، مصدر سابق، ص53.

[3] المرجع نفسه، ص 54.

طريقا للعبادة، و لم يحددوا ديانة مطلقة، و ما كانت تلك الديانات مفروضة بصفة رسمية شرعية. و كان مسموح بها جميعها دون تميز و استثناء و بالتالي الحرية في اتخاذ واعتناق أي عقيدة دينية دون فرضها و جبرها على أفراد الشعب الروماني.

بالرغم من تعصب زعماء الكنيسة و انشغالهم بأمور الدنيا ورغبتهم في السلطة و النفوذ فقد كان بين رجال الدين الفرنسيين مئات ممن امتازوا بالعلم الغزير والحياة التقية النقية. وبالإضافة إلى أولئك الأساقفة الذين بددوا في باريس العشور التي جمعوها، كان هناك أساقفة آخرون اتسموا بالطهر و التقى قدر ما سمحت به المهام الإدارية. فكان الكاردينال لويس أنطوان دى نواى رئيس أساقفة باريس رجلا ذكيا نبيلا، و كان الناس يحبون جان باتست مايسيون أسقف كلبرمونت على الرغم من عظاته الزاخرة بألوان العلم و المعرفة، و التي كان فولتير يحب أن يستمع إليها وقت تناول الطعام، لجمال أسلوبها على الأقل. أما جبرائيل دي كابلوس أسقف أوكبير فقد وهب ثروته، للفقراء، و باع طبقه الفضي ليطعم الجياع، ثم اعتذر لمن إلتمسوا رفضه بعد ذلك القول "يا أبنائي، لم يتبقى لدي شئ أعطيكم إياه " كان هناك بين رجال الكنيسة على إختلاف مراتبهم الورع و التقى كما كان هناك الغني و الثراء ، بقدر سواء كما كان هناك الإخلاص مع الفقر بين كهنة القرى، أما الناس فقد فيهم حب راسخ يتعذر المساس به أو النيل منه، لعقيدة هيأت

للزهو و الهوى شيئا من الإنضباط المنقذ من الضلال، كما هيأت للأيام العصبية الشاقة رؤيا وجد الناس فيها شيئا من السلوى والعزاء .[1]

ب – الحرية السياسية :

بُهر فولتير بالتجربة الإنجليزية وخاصة الجانب السياسي فكان فولتير يدعوا إلى إقامة دولة سلام اجتماعي تقوم على إتاحة و ضبط الحريات و تتولى الدولة سن و تشريع القوانين و هذه القوانين تقوم بإخضاع جميع المواطنين دون استثناء فكان محبا للحرية و الإنسانية من حبه لنفسه كونه يرى أن مهمة الفيلسوف تقوم على إصلاح الطبيعية الإنسانية الفاسدة من الظلم و الاستبداد والطغيان خاصة المجتمع الفرنسي .

عرفت فرنسا نظام الحكم المطلق في عهد هنري الرابع* Henri IV (1553-1610) وازدهر خلال حكم لويس الرابع عشر* Louis XIV(1638–1715)، ليتوطد طيلة القرن الثامن عشر فوضعت البلديات تحت الوصاية وعرف البرلمان الإهمال، و من جهة أخرى فإن المجالس الإقليمية والمحاكم و مجالس الإكيلروس استمرت في عملها و ذلك تحت مراقبة السلطة الملكية يتم

---

[1] ول وايرل ديورانت، **قصة الحضارة**، تر : محمد علي أبو درة، ج 2، مجلد 9، (دار الجيل، بيروت (لبنان)، د.ط، د.س)، ص 17 – 18.

*)**هنري الرابع**: ملك فرنسا من 1589م إلى 1610م، بروتستانتي الأصل، نجح بعد اعتلائه العرش في التوفيق بين البروتستانتيين و الكاثوليكيين، حقق إصلاحات كبيرة و نعم بشعبية كبيرة، أغتيل على يد فرانسوا راقاياك.[فولتير، رسالة في التسامح، مرجع سابق، ص11].

*)**لويس الرابع عشر**: ملك فرنسا عرف بالفصاحة و الذوق و الذكاء و الدعابة، شهدت فرنسا في فترة حكمه مرحلة قوة وتوسع و سيطرة سياسية لأوروبا،كما ازدهرت فرنسا في عهده من ناحية الأدب و الفلسفة و العلم.[رونالد سترومبرج، **تاريخ الفكر الأوروبي** الحديث، تر: أحمد الشيباني، (دار القارئ العربي، مصر،ط3، 1994)، ص 137–138– 139].

تكريس صفة الحكم الإلهية عبر طقوس احتفالية، و يحاط الملك بهالة من الإحترام الديني. فالصفة الإلهية للحكم تؤمن له السيطرة المطلقة في سائر المجالات. فالملك بصفته مثالا للمصلحة العامة و فوق منظمات المملكة و أجهزتها فهو يتمتع بوسائل العمل غير محدودة و لا يخضع لأية مراقبة فالحكم يمتاز بصفة الإطلاق، سلطة واحدة لا تتجزأ و لا تمنح لآخر، و بيده كل السلطات و سلطاته غير محدودة و هو مصدر كل تشريع و مفوض العدالة إلى محاكمه.[1]

لقد ناصر فولتير و دافع عن أطروحة الملكية، التي تصّر على السلطة الأساسية للملك وتحتقر الأرستقراطية من حيث أنها قوة وصولية تسعى إلى منفعتها، وتؤدي إلى التمزيق، وهذه الأخيرة التي تقوم على التقييد للسيادة الذي هدد قوة و سلطة الملك المستنير أو الذي يمكن أن يكون مستنيرا. و هو يعارض مونتيسكو الذي يناصر أطروحة النبالة التي تكون جزءا أساسيا وجوهريا في فصل السلطات و توازنها الذي نظر إليه على أنه المبدأ الأساسي للحرية السياسية حيث يشيد فولتير بالملك المستبد المستنير، الملك الشاعر الموسيقي و الفيلسوف الذي يمجد العقل و يظهر ذلك في شخصه[2].

رفض فولتير كل أشكال الظلم و الاستبداد الذي تمارسه السلطة في مختلف دول العالم عامة و فرنسا خاصة فقد أدان كل من سعى إلى استغلال السلطة حيثما تكون هناك مسألة للعقل وحده و عن السلطة التي كانت محل ازدراء عبر القرون وعن كراهية الجماهير المظلومة لها

---

[1] ألبير سوبول، **تاريخ الثورة الفرنسية**، تر: جورج كوسي، (منشورات بحر المتوسط و منشورات عويدات، بيروت (باريس)،ط1998،1)، ص 63- 64- 65.

[2] غيرترود هيملفارب، الطرق إلى الحداثة، مرجع سابق، ص172.

وخاصة فئة العلماء حيث يقول فولتير: في قاموسه الفلسفي "حدثكم المرء مئات المرات عن السخافة المتغطرسة التي أدنتم بها غاليلو ...أتمنى أن يكتب على ضريحكم المقدس :هنا يرقد سبعة كرادلة ألقوا بأستاذ الفكر في إيطاليا في غياهب السجن، و هو في سبعين من عمره و جعلوه يصوم على الخبز والماء لأنه علم الجنس البشري، ولأنهم كانوا جهلة ".[1]

قد أعرب فولتير عن تأييده فكرة النظام الاستبدادي المستنير و الملك النير، التي لعبت دورا لا يستهان به خلال تطور الفكر السياسي البرجوازي في فرنسا، في مقابل دحضه لفكرة الأصل الإلهي للملوك، و ذلك ما عبر عنه فولتير من خلال نشاطه الأدبي، كما خص ذلك بتقديره للفضائل التاريخية للنظام الملكي المستبد، الداخل في صراع مع الفوضى " الفوضى الإقطاعية" البغيضة، كما أشاد بالملك هنري الرابع في الوسط البرجوازي الفرنسي من خلال ملحمته "الهنرياذة" و أعطت عنه صورة الملك النير، و يرى فولتير الإصلاحات التي يطالب بها المجتمع لابد أن يتم على الملك المتأثر بالأفكار الفلسفية، الملك الفيلسوف الذي يحقق أكبر سعادة البشر.[2]

ففكرة الاستبداد المستنير كانت تمثل في عصر فولتير اتجاها واضحا لدى بعض قطاعات البرجوازية الفرنسية التي كانت لا ترغب في إلغاء النظام السياسي القائم لكنها تنزع في الوقت نفسه إلى دعم ومساندة جهود السلطة الملكية المطلقة الرامية لتحطيم الإقطاع و إلغاء النظام الإمتيازات والتخلص من منافسة الكنيسة و هيمنتها لتتاح للبرجوازية الفرصة للنفاذ إلى نظام الإمتيازات هذا

[1] فولتير، القاموس الفلسفي، مصدر سابق، ص 42 .

[2] ف. فولغين، فلسفة الأنوار، مرجع سابق، ص35.

ومشاركة النبلاء في مكاسبهم ليقوم موقف البرجوازية وبشكل واضح على التسليم بوجود السلطة الملكية و الشكل الاستبدادي الذي يميزها مع الرغبة في جعله استبدادا مستنيرا لينفتح عليها ويقبلها بين صفوفه .[1]

يقول فولتير في كتابه رسائل فلسفية : " كانت الحروب الأهلية في فرنسا أطول أمدا، وأشد قسوة، وأكثر إجرام من حروب إنجلترا الأهلية".[2] لطالما أبدى فولتير إعجابه وتقديره للسياسة والدستور الإنجليزي، حيث أجرى مقارنة بين سياسة إنجلترا وفرنسا، فقد مزقت الحروب الأهلية كلتيهما، فكانت تلك الحروب التي حدثت في فرنسا، و التي دامت مدة طويلة من الزمن، التي مارست فيها القوة الطاغية أبشع صور القتل و الجرائم و القسوة، فهذه الحروب الداخلية جعلت فرنسا تعيش في حالة من الفوضى و عدم الاستقرار و تراجعها. أما الحروب في إنجلترا فيرى فولتير أنها كانت أقل إجراما وقسوة من الحروب التي حدثت في فرنسا، حيث سبقت الثورة الإنجليزية التي كانت من نتائجها الحرية السياسية بل وحتى الحريات الأخرى الدينية خاصة حيث تكلفت إنجلترا الثمن غاليا من أجل بلوغ الحرية. يقول فولتير كذلك: " أن الحرية ثمرة الاضطرابات في إنجلترا، والأمة الإنجليزية وحدها هي التي انتهت في العالم إلى تنظيم سلطة الملوك بمقوماتهم

---

[1] عبد الرضا حسين الطعان، **مدخل إلى الفكر السياسي الحديث والمعاصر**، ج 1،(جامعة بغداد، بغداد، د.ط، د.س)، ص93 .93

[2] فولتير، **رسائل فلسفية**، تر: عادل زعيتر، دار التنوير بيروت، ط1، 2014، ص 68.

وأقامت في أخر الأمر ... هذه الحكومة الحكيمة التي يكون فيها الأمير القادر لصنع الخير ويكون للشعب نصيب في حكومتها بلا بلبلة "[1].

لقد عانت إنجلترا من الحروب والاضطرابات التي سفكت فيها بحور من الدماء، كل ذلك من أجل بلوغ سبيل الحرية، فالأمة الانجليزية وحدها هي التي استطاعت ضبط سلوك الملك، بأن قاومتهم، حيث تمكنت فيما بعد من إقامة حكم حكيم مبني على أساس الحرية،حيث تمنح الحرية للملك عندما يكون خيرا وبعيدا على ممارسة الشرور .فحكومة إنجلترا تسعى إلى تحقيق حرية شعبها حيث يقول فولتير في هذا الصدد " لم تخلق حكومة إنجلترا لمثل هذه الضجة العظيمة و لا لمثل هذه الغاية المشئومة ... وليس هذا الشعب حريصا على حريته وحدها، بل على حرية الشعوب الأخرى ".[2] فالشعب الإنجليزي حسب فولتير لم يهتم بحريته الشخصية بل تعداه ذلك إلى تحقيق حرية كافة الشعوب أخرى .

كما يرى فولتير أن الحكم الأمثل، هو ذلك الذي يضمن حماية قانونية متماثلة لسائر الأوضاع و الشروط الاجتماعية، فالحقوق الطبيعية من حق كل إنسان و من حق السلطان البستاني، فلكل منهما حق التصرف بشخصه و أملاكه و حياته، ومن ذلك فالبشر متساوون في الجوهر. و هذه المساواة بين البشر لا تلغي التبعية، فالمساواة أمر طبيعي ووهمي في آن واحد[3]حيث يقول فولتير في قاموسه الفلسفي : " في عالمنا التعيس، مستحيل على البشر الذين

---

[1] فولتير، رسائل فلسفية، مصدر سابق، ص 66.

[2] مصدر السابق ، ص 67 .

[3] ف.فولغين، فلسفة الأنوار، مرجع سابق، ص33 – 34.

يعيشون في مجتمع ألا ينقسموا إلى طبقتين، إحداهما هي الغنية التي تقود، و الأخرى هي الفقيرة التي تخدم و هاتان الطبقتان تنقسمان إلى ألف طبقة و هذه الطبقات الألف تظل بينهما درجات مختلفة "[1].

فطبيعة هذا العالم التعيس الذي يفرض الانقسام على البشر، طبقة الأغنياء التي تميل إلى السيطرة و المتعة و الثروة، و طبقة الفقراء الذين لا يملكون شيء غير خدمتهم ومنفعتهم لصالح الأغنياء، فلو كان هذا العالم كما ينبغي أن يكون عليه لاستطاع كل إنسان أن يجد رزقه وكل مطالب حياته و من ذلك يتعذر على الأخر استعباده و احتقاره، فالبشر متساوون فقط حين يتمتعون بملكاتهم الطبيعية، متساوون حين يؤدون وظائف الحيوان و حين يمارسون فهمهم سيكون جميع البشر متساوون بالضرورة لو كانوا لا يحتاجون إلى شيء، لكن الفقر هو الذي يخضع رجلا لأخر، فالمشكلة الحقيقية ليست في التفاوت الطبقي و لكنها في التبعية لمن هو أعلى منصبا وشأنا.

صحيح أن البشر متساوون من حيث الجوهر الإنساني، متساوون من حيث الطبيعة فجميعهم بشر، لكنهم ليسوا أعضاءً متساوون في المجتمع حيث يؤدون أدوارا مختلفة، حيث نجد فولتير يحمل تناقضا في طرحه لهذه الفكرة، فمن جهة يدعو إلى المساواة بين البشر و من جهة أخرى يدعو إلى تكريس الطبقية في المجتمع. كذلك عندما يتكلم عن المساواة لا يتجاوز حدود

[1] فولتير، القاموس الفلسفي، مصدر سابق، ص118.

المجتمع البرجوازي الذي ينتمي هو إليه، و يرى بحكم هذا العالم ضرورة إنقسام المجتمع إلى أغنياء يأمرون وفقراء يخدمون، و من هنا يشيد بالطبقة الغنية و يرفع من مكانتها، الطبقة البرجوازية التي ينتمي إليها، و يرى الفقراء دائما على أنهم طبقة أدنى و ينقص من قيمتها، مهمتها الطاعة والخدمة، وهذا ما يعبر عن احتقاره للعامة.

إن التناقض بين فولتير و المطلقية كان قائما وواضحا، و هناك من يرى أن النزعة الجمهورية كانت مبثوثة في ثنايا أفكاره و إنها انتعشت لديه ونمت عندما كان في إنجلترا، ولكن نزعة فولتير الجمهورية هذه لم تقترن بتصريحه بها أو إعلانه لها ومنحه للنظام السياسي في هولندا و إنجلترا لم يكن يستهدف إلغاء الملكية المطلقة لإحلال النظام الجمهوري محلها بل كان يستهدف تقديم نموذج لنظام لسياسي يدعوا للاحتذاء به عن طريق إدخال إصلاحات على النظام السياسي الملكي المطلق المستبد القائم في فرنسا لتستجيب للحريات الفردية[1].

[1] عبد الرضا حسين الطعان، مرجع سابق، ص 94 .

خـــــاتـــــمة

خاتمة

من خلال بحثنا هذا و تحليلنا للموضوع توصّلنا للنّتائج التّالية:

* أساس فلسفة الأنوار هو الإيمان بقدرة العقل و العلم على التنوير، فأهم سمة لفلسفة الأنوار هي تمجيد العقل و العلم، حيث أن العقل هو الملكة التي تجعل الإنسان مختلف عن باقي المخلوقات فبقدرة العقل على كسب المعرفة و العلم يخرج الإنسان من ظلمات الجهل إلى أنوار المعرفة.

*دور الفلاسفة الغربيين وفكرهم خاصة الإنجليز منهم جون لوك في تكوين فكر و فلسفة فولتير التي يظهر فيها بالغ التأثير و الإعجاب بالفلسفة الإنجليزية.

*يعتبر فولتير من أهم ممثّلي التنوير الأوروبي من خلال فلسفته التي تهتم بخدمة الإنسانية والسعي إلى التحرر من القيود و الإكراه والأحكام المسبقة، حيث بذل فولتير جهده في سبيل خدمة الإنسانية عامة والعمل على إشاعة الأنوار .

*لقد نادى فولتير بأنواع الحريات، الحرية السياسية وهذا ما نلتمسه في كتابه "رسائل فلسفية" الحرية الدينية من خلال كتابه " رسالة في التسامح"، و كانت دعوته صريحة نحو التحرر ورفضه للتعصب رجال الدين و سلطة الكنيسة.

*إن الدعوة إلى الحرية دعوة مدوية منذ القديم إلا أن فلاسفة عصر الأنوار أعطوها صبغة عقلية ذلك أن الحرية من أقدم المشكلات الفلسفية التي طرحها الفلاسفة فارتبطت بالميتافيزيقا و مصير

الإنسان في الكون، و زاد الاهتمام بهذه المشكلة في فلسفة الحداثة التي اعتمدت على أساس العقل في معالجتها.

*مساهمة رسالة في التسامح لفولتير و جون لوك في إشاعة روح التسامح بين الشعوب ونبذ كل أشكال التعصب .

*المهم في قضية الحرية هو أن تبقى دائما موضوع نقاش بوصفها نابعة من ضرورة حياتية، هذا ما نلاحظه على مستوى الحراك السياسي اليومي الذي شعاره الحرية وهو واقع نعيشه اليوم.

المـــصادر و المراجـــع

قائمة المصادر و المراجع :

أولا : المصادر :

1-فولتير، **كانديد**، تر: آنا ماريا شقير، دار البحار و مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2005

2-فولتير، **رسالة في التسامح**، تر:هنريت عبودي، دار بترا لنشر للتوزيع، سوريا، ط1 2009

3-فولتير، **رسائل فلسفية**، تر: عادل زعيتر، دار التنوير، بيروت، ط1، 2014 .

4-فولتير، **القاموس الفلسفي**، تر: يوسف نبيل، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، (د.ط) 2017.

ثانيا : المراجع:

5-إبراهيم مصطفى، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، ج1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (د.ط)، الإسكندرية، 1997 .

6- ألبير سويول، **تاريخ الثورة الفرنسية**، تر: جورج كوسي، منشورات البحر المتوسط منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1989 .

7- امانويل كانط، **ثلاثة نصوص تاملات في التربية**، تر: محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، ط1، 2005 .

8- برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية الحديثة**، تر: محمد فتحي شنيطي، الدار المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية، د.ط، 1988 .

9- برتراند راسل، **حكمة الغرب**، ج2، تر: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت، د.ط، 1978.

10- تزفيتان تودروف، **روح الأنوار**، تر: حافظ قويعة، دار محمد علي لنشر، تونس، ط1 2009.

11- جان جاك روسو، **أصل التفاوت بين الناس**، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط، 2012 .

12- جفري برون، **تاريخ أوروبا الحديث**، تر: علي المرزوقي، دار الأهلية، الأردن، ط1،2006

13-جماعة من الأساتذة السوفيات، **موجز تاريخ الفلسفة**، تر: توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1989 .

14- جون جاك روسو، **العقد الإجتماعي**، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، القاهرة، (د.ط)، 2012 .

15- جون لوك، **رسالة في التسامح**، تر: منى أبو سنه، المجلس الأعلى لثقافة، ط1، الإسكندرية، 1997 .

16- جون لوك، **في الحكم المدني**، تر: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، د.ط، بيروت، 1959 .

17- رونالد سترومبرج، **تاريخ الفكر الأوروبي** الحديث، تر: أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، مصر ،ط3، 1994.

18- زكريا إبراهيم، **مشكلة الحرية**، مكتبة مصر، مصر، 1972 .

19-عبد الرضا حسين الطعان، **مدخل إلى الفكر السياسي الحديث و المعاصر**، ج1، جامعة بغداد، بغداد، د.ط، د.س .

20- غورتويزن برنار، **فلسفة الثورة الفرنسية**، تر: عيسى عصفور ،منشورات البحر المتوسط و منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1982 .

21-غيرترود هيملفارب، **الطرق إلى الحداثة**، تر: محمود سيد أحمد، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، د.ط، 2009 .

22- فاروق عبد المعطي، **جون لوك**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1993 .

23- فولغين، **فلسفة الأنوار**، هنريت عبودي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2006 .

24- كوبلستون فريدريك، **تاريخ الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى ليبتنز**، مج4، تر: سعيد توفيق وأخرون ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013 .

25- ليبنتز، **مقالة في الميتافيزيقا**، تر: الطاهر بن قيزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006 .

26- محمد الهلالي، **الحرية**، دار توبقال لنشر، المغرب، ط1، 2009 .

27- هاشم صالح، **مدخل إلى التنوير إلى الأوروبي**، رابطة العقلانيين، الغرب ودار الطليعة بيروت، ط1، 2005 .

28- هربرت فيشر، **تاريخ أوروبا في العصر الحديث**، تر: أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع دار المعارف، مصر، ط1، د.س .

29- ول وايرل ديورنت، **قصة الحضارة**، تر: محمد علي أبو درة، ج2، مج9، دار الجيل بيروت د.ط، د.س .

30- ويل ديورانت، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى ديوي**، تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1 مجددة، 2014 .

المعاجم و الموسوعات:

1-Dictionnaire de français, **Larousse**, 2010.

2 -**Oxford** word power dictionary, university paris.2006.

3-أندريه لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، مج1، تر: أحمد عويدات، منشورات عويدات، ط2 بيروت، د.س .

4-جلال الدين سعيد، **معجم المصطلحات الشواهد الفلسفية**، دار الجنوب للنشر تونس، د. ط، 2004 .

5-جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج 1، دار الكتاب العلمي، بيروت، د . ط، 1994

6-جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، ط3، بيروت، 2006 .

7-رحيم أبو رغيف الموسوي، **الدليل الفلسفي الشامل**، ج2، دار المحجة البيضاء بيروت ط1، 2003 .

8-عبد المنعم حفني، **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3 . 2000

9-مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دار القباء الحديثة، القاهرة، د.ط، 2007 .

المواقع الإلكترونية:

1- أمل مبروك، **الحرية و العناية الإلهية**،

.11.30.16/02/2019www.wabh.news.com

2- الجمعية العامة، **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان**، www.moj.pna./userfilesl

file universal declaration human.15.37. 2019/02/22 .

3-alencyclopedia . com . // https 06/11/ 2019 . 18:15

الملخص :

تعالج هذه الدراسة مشكلة الحرية في فلسفة الأنوار، حيث تعدّ الحرية من أهم المواضيع التي اهتم بها و دافع عنها الكثير من الفلاسفة خاصة في القرن 18م، و قد اخترنا فولتير نموذجا لهذه المشكلة التي احتلت مكانة هامة في فلسفته و فكره. و التي دعا إليها من خلال كتاباته الأدبية و الفلسفية. حيث أبدى تأثره بالتجربة الإنجليزية التي مجدت الحريات فاعتبر الحرية ضرورة إنسانية حيث تناولها من عدة جوانب فقد دافع عن الحرية الدينية بشدة و رفض كل أشكال التعصب و سلطة الكنيسة، كما دافع عن الحرية السياسية.

الكلمات المفتاحية :

الحرية، الأنوار، التعصب، التسامح، العقل.

Abstract :

This study deals with the problem of freedom in the philosophy of enlightments. So , it is considred as one of the most important topic . Many philosophers defend it and were interested in , especially in the eighteenth century. We chose Voltaire as a model because he introduce this problem, which occupied an important place in his philosophy and his thought. He demonstrate this problem through his litterary and philosophical writings. Voltaire was influenced by the English actuality , which glorifies freedom, and considred it as a human necessity. He deals with it from various aspects. So, he strongly defended the religious freedom, and rejected all forms of intolerance and the authority of the Church, and defended also the political freedom.

key words:

Freedom, enlightments, Intolerance, Tolerance, Reason

فهرس المحتويات:

المحتوى	الصفحة
الإهداء	
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ – ج
الفصل الأول: المرجعية الفكرية و الفلسفية لفولتير.	4
المبحث الأول: الأوضاع السائدة في فرنسا القرن 18م.	5 – 12
المبحث الثاني: علاقة فولتير بروسو.	13– 20
المبحث الثالث: مشكلة الحرية في الفلسفة الغربية الحديثة (جون لوك وليبنتز نموذجين).	21 – 32
الفصل الثاني: في ماهية الحرية عند فولتير.	33
المبحث الأول: الحرية لغة و اصطلاحا.	34 – 37
المبحث الثاني: مفهوم الحرية عند فولتير.	38 – 43
المبحث الثالث: الحرية السياسية و الحرية الدينية.	44 – 57
خاتمة	59 –60
المصادر و المراجع	52 – 66
الملخص	67